
سلسلة الصعود نحو القمة
(١) نحو بناء مؤمن فعال
صناعة الهدف
م. هشام مصطفى عبد العزيز

(١) نحو بناء مؤمن فعال



الطبعة الأولى

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م

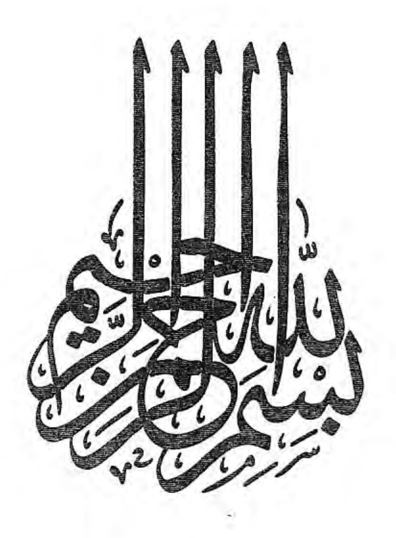
سلسلة الصعود نحو القمة

(1)

نحو بناء مؤمن فعال



هشام مصطفى عبد العزيز
صويان شايع الهاجري
فريد مناع جمعة
هشام طلعت عابدين



سلسلة الصعود نحو القمة

(١) نحو بناء مؤمن فعال

صناعة الهدف

إنه المؤمن ..

انتبه من رقاده ..

وفهم معنى الشهادتين ..

فأدرك رسالته، وحدد رؤيته ..

وانتصب هدفه أمام ناظريه ..

فمضى يسلك درب الفاعلية ..

في يمينه القرآن، وفي شماله ترس الحضارة ..

فكانت نهضة شاملة ..

ما بين مسجد وسنبلة، ومصنع وجامعة ..

في أفق حضاري شامل ..

يطل من قريب على نصر الله الموعود ..

السؤال المستفز

«وقف عماد يتأمل المناظر الطبيعية الخلابة التي تظهر له من فوق ظهر السفينة الضخمة التي يستقلها مدعوًّا لرحلة ترفيهية مع صديقه المقرب كريم، وبينما هو مستند على حاجز السفينة وقد بهرته روعة تلك المشاهد الخلابة التي تنطق بعظمة الخالق المبدع- سبحانه وتعالى- أغراه جمال المنظر أن يميل بجسده أكثر إلى الأمام ليتمكن من رؤية السفينة وهي تمخر عباب البحر.

وفجأة جاءت موجة عنيفة اهتزت معها السفينة اهتزازًا شديدًا؛ فاختل توازن عماد ... وحدثت المصيبة ... سقط عماد في قلب المحيط، وتعاظمت المصيبة فعماد لا يحسن السباحة، صرخ عماد طالبًا النجدة حتى بُحَّ صوتُه، وظل يصارع الموج بدون جدوى، فرآه رجل كبير في الخمسين من عمره كان مسافرًا معه على ظهر تلك السفينة، وعلى الفور أشعل الرجل جهاز الإنذار ثم رمى بنفسه في الماء لإنقاذ عماد.

وبسرعة دبت الحركة في جميع أركان السفينة، هرول المسئولون وتجمع المسافرون على ظهر السفينة يرقبون المشهد

ويبادرون بالمعونة والمساعدة، ألقوا بقوارب نجاة إلى المياه، وتعاونت فرقة الإنقاذ مع الرجل الشهم على الصعود بعماد إلى ظهر السفينة، وتمت عملية الإنقاذ بعون الله تعالى، ونجا عماد من موت محقق، وتلقفه صديقه كريم معتنقًا إياه، ثم انطلق يبحث حوله عن ذلك الرجل الشجاع الذي جعله الله تعالى سببًا في إنقاذ حياته، فوجده واقفًا في ركن من أركان السفينة يجفف نفسه، فأسرع إليه عماد واعتنقه، وقال: لا أدري كيف يمكنني أن أشكرك على جميلك معي، لقد أنقذت حياتي. فابتسم الرجل إليه ابتسامة هادئة ونظر إلى الأفق متأملًا، ثم التفت إلى عماد وخاطبه قائلًا: «**يا بني، حمدًا لله على سلامتك، ولكن أرجو أن تساوي حياتك ثمن بقائها**».

كانت هذه الكلمات بمثابة الشرارة التي أشعلت فتيل الإرادة والتحدي في نفس عماد، استقرت الكلمة في عقله ووجدانه بعمق، وأصبح همه في الحياة أن يجعل لها قيمة عالية حتى تساوي ثمن إنقاذها، ومضى عماد يحقق الآمال تلو الآمال والنجاح يعقبه النجاح، وكلما مرت به الصعوبات وقابلته التحديات تذكر كلمات الرجل: «**أرجو أن تساوي حياتك ثمن بقائها**»؛ فتشحذه الكلمة بالإرادة والعزيمة فيتغلب عليها بإذن الله تعالى وعونه، حتى قَارَب عماد على الستين من عمره وقد حقق لنفسه وأهله ودينه وأمته إنجازات

عظيمة»[1].

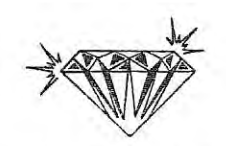
أيها المؤمن:

ونحن بدورنا نريد أن نسألك: لو كنت مكان ذلك الشاب عماد، وسألناك ذات السؤال: **هل حقًّا حياتك تساوي ثمن بقائها؟**

* * *

---

(١) الفكرة مقتبسة من (قوة التحكم في الذات)، د. إبراهيم الفقي، ص (١٥٩).



أنت سلعة ثمينة ولكن...!!

إن الله تعالى كرم الإنسان عمومًا، قال تعالى: ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ [الإسراء: ٧٠] ، فما بالنا بالمؤمن الذي أحبه الله واختاره ليكون من أمة الإسلام ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ .. ﴾ [آل عمران: ١١٠].

فما أعظم قيمة حياتك عند خالقها: فهو الذي سوَّاك ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وسخر لك الأرض بما عليها، وكل هذا وأنت ما زلت في صلب أبيك آدم، فإذا كانت حياتك بهذه القيمة العظيمة فاعلم أن بإمكانك أن تحافظ على هذه القيمة، وأن تسعى لرفع سعرها باستمرار، وبإمكانك أيضًا أن تضيعها وتبخسها حقها.

ترى ما الذي يرفع قيمة حياة المؤمن عن غيره، وما الذي يرخص من قيمتها؟

تأمل معي قول الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ

تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ... ﴾

[آل عمران: ١١٠]

هناك أمران إذًا ترتبط بهما خيرية هذه الأمة المباركة، ومن ثم ترتبط بهما قيمة أفرادها: الإيمان بالله تعالى، والفاعلية العالية- والتي من أبرز صورها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- وكلما حقق الإنسان من الإيمان والفاعلية ارتفعت قيمة حياته؛ فنال السعادة والنجاح ورضا الله في الدنيا، وفاز بسكنى الجنان في الآخرة. والعكس صحيح أيضًا .. فكلما قلَّ نصيب الإنسان من الإيمان والفاعلية ضاعت قيمة حياته؛ فعاش تعيسًا فاشلًا في الدنيا وباء بالخسران في الآخرة.



ونحن أمة الفاعلية

وإنما أراد الله منك أيها المؤمن ذاك الإيمان وتلك الفاعلية لأنه سبحانه قد اختار هذه الأمة بالذات من دون الأمم لكي تمسك بزمام القيادة لهذه البشرية، ومن ثم وجب على أفراد هذه الأمة أن يكونوا على قمة هرم الإنجاز والفاعلية حتى تستطيع الأمة أن تقوم بعبء هذه الأمانة الثقيلة.

ولعل ذلك هو سر حرص النبي ﷺ على أن يزرع في صحابته حب الإنجاز والعمل، وكراهية العجز والبطالة والكسل، فكان ﷺ يعلمهم أن يقولوا في كل صباح ومساء: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل**»[1] حتى وجدنا منهم- من أمثال عمر بن الخطاب رضي الله عنه - من يقول: «الراحة للرجال غفلة»[2].

ومنهج الإسلام يحوي في ثناياه كل عوامل الإنجاز والفاعلية في تفرد ليس له نظير بين المناهج الأرضية، وليس أدل على ذلك

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن، رقم: ٢٨٢٣، وفي غيره. ورواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من العجز والكسل، رقم: ٢٧٠٦.

(٢)(أدب الدنيا والدين) للماوردي، ص (٨٢).

من هذه النقلة البعيدة التي أحدثها هذا المنهج العظيم في أمة العرب، فماذا كانت قيمة العرب قبل الإسلام؟!

كانوا شراذم متناحرة متحاربة، تعيش في ظلمات الجهل والتخلف، ليس لها وزن في العالم، ولا يحسب لها التاريخ حسابًا، فلما أكرمهم الله بهذا الدين، إذا بهم في غضون ثلاثين سنة يقيمون للإسلام دولة لم يُعرف لها في التاريخ مثيل، وهي التي أرست في العالم كله دعائم النهضة والحضارة.

يقول بريغولت في أحد كتبه الشهيرة، وهو كتاب [بناء الإنسانية Making of Humanity]: «إن ما يدين به علمنا للعرب ليس فيما قدموه إلينا من كشوف مدهشة لنظريات مبتكرة، بل يدين لهم بوجوده نفسه، فالعالم القديم لم يكن للعلم فيه وجود، وقد نظم اليونان المذاهب، وعمموا الأحكام ووضعوا النظريات، ولكن أساليب البحث في دأب وأناة، وجمع المعلومات الإيجابية وتركيزها والمناهج التفصيلية للعلم، والملاحظة الدقيقة المستمرة، والبحث التجريبي، كل ذلك كان غريبًا تمامًا على المزاج اليوناني.

أما ما ندعوه «العلم» فقد ظهر في أوروبا نتيجة لروح من البحث جديدة، ولطرق من الاستقصاء مستحدثة، وهذه الروح

وتلك المناهج أوصلها العرب إلى العالم الأوروبي»[1].

فالمسلمون إذًا وباعتراف الغرب نفسه هم صنَّاع الحركة العلمية والحضارية في العالم، هم الذين صححوا ما كان من أخطاء في علوم الإغريق، وابتدعوا علومًا جديدة كعلم الجبر وحساب المثلثات، واكتشفوا كثيرًا من خواص المادة التي كانت أساسًا لتقدم علوم الفيزياء والكيمياء، فاكتشفوا الدورة الدموية، وأسسوا علم البصريات، بل ومنحوا البشرية سبيل التقدم العلمي الصحيح، وهو المنهج التجريبي الذي ما كانت أوروبا لتتقدم خطوة واحدة بدونه[2].

وها هو الرازي يشتهر بعلوم الطب والكيمياء ويجمع بينهما، فقد قسم المواد الموجودة في عصره إلى أربعة أقسام: المعدنية، والنباتية، والحيوانية، والمشتقة، وأجرى التجارب واستخدم الرصد والمتابعة، وطبق معلوماته في الكيمياء على الطب، واستخدم الأجهزة وصنعها بنفسه؛ ما جعل

---

(١) (تجديد الفكر الديني في الإسلام) لمحمد إقبال، ترجمة الأستاذ عباس محمود، ص (١٥٠).

(٢) (واقعنا المعاصر)، الأستاذ محمد قطب، ص (٨٤) بتصرف.

لأعماله في الكيمياء قيمة علمية.

وما زال بعض العلماء في الغرب يعتبرونه مؤسس الكيمياء في كل من الشرق والغرب، وكانت أشهر مؤلفاته في علوم الطب قد تضمنت ما تم نقله من علوم الإغريق والهند، معلقًا بآرائه وبحوثه التي تدل على النضج والنبوغ.

وتحقق الرازي في دراسة الطب من أثر العوامل النفسية في العلاج؛ حيث أكد قائلًا: «إن مزاج الجسم تابع لأخلاق النفس».

كما اشتغل الرازي في علوم الفيزياء في تعيين الكثافة النوعية للسوائل، وصنف لقياسها ميزانًا خاصًّا أطلق عليه اسم (الميزان الطبيعي).

ملكنا هذه الدنيا قرونًا وأخضعها جدودٌ خالدونا
وسطَّرنا صحائفَ من ضياءٍ فما نسي الزمانُ ولا نسينا



أنت مفتاح النهضة

ثم دار الزمان دورته، وتخلى المسلمون عن سر قوتهم، وأداروا ظهورهم لشرع ربهم، فسادَ في مجتمعاتنا نموذج العاجز الكسلان، وما زلنا ننتقل من درك إلى درك حتى أصبحنا اليوم في حضيض الضعف والتخلف، وتسلم لواء القيادة أمة الغرب، حتى تحققت مخاوف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ حينما قال: «اللهم إني أعوذ بك من جَلَد الفاجر وعجز الثقة».

وما فتئَ الزمانُ يدورُ حتى ... مضى بالمجدِ قومٌ آخرونا
وأصبح لا يُرى في الركبِ قومي ... وقد عاشوا أئمتَه سنينا
وآلمني وآلَمَ كلَّ حرٍّ ... سؤالُ الدهرِ أين المسلمونا؟

وأوضاع الأمة الإسلامية اليوم ليست في حاجة لأن نستطرد في بيان ترديها وتخلفها، وإنما الذي يعنينا الآن هو الحديث الإيجابي الذي يرسم لأمتنا طريق العودة إلى السيادة مرة أخرى، وتزعُّم ركب الحضارة في الأرض، كما أوجبه الله تعالى على هذه الأمة.

وإننا نقول بكل ثقة ويقين، وبلا أدنى ذرة من شك أو تردد: إن هذا الطريق الشاق يبدأ منك أنت أيها القارئ الكريم، نعم

أنت أيها المؤمن؛ لأن الأمة إنما تتكون من مجموع أفرادها، فإذا ارتفعت قيمة حياة الفرد بالإيمان والفاعلية فإن قيمة الأمة ترتفع بدورها تبعًا لذلك، فإذا نجحنا في بناء شخصية المؤمن القوي الفعال، وأصبح هذا النموذج هو السائد في أمتنا فإن هذه هي أهم خطوة استراتيجية على طريق الرفعة والتمكين فالبناء الشامل وحده هو الذي يمكن أن يحدث النهضة.



القوي الأمين

إننا نريد المؤمن الفعَّال، لا المؤمن العاجز السلبي، ذلك أن مهمة النهوض بهذه الأمة من كبوتها الحالية مهمة شاقة عسيرة، لا يقدر على القيام بها إنسان عاجز ضعيف الشخصية، ناقص القدرات والمهارات، حتى ولو كان على قدر كبير من الصلاح والتقوى.

إننا نخطئ كثيرًا حينما لا نفصل بين منزلة الإنسان عند الله والتي معيارها التقوى، وبين صلاحية هذا الإنسان لتولي زمام القيادة والقيام بمهمة التغيير، فليس كل صالح قويًا، وهذا المعنى واضح وضوحًا تامًّا في كتاب الله عزَّ وجلَّ وفي سنة رسوله ﷺ، فيحكي لنا الله- جل وعلا- على لسان ابنة الرجل الصالح كلامها عن موسى عليه السلام، وكيف رأت فيه أهليته للإشراف على أموال أبيها.

يقول تعالى: ﴿ قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦].

ثم ها هو يوسف عليه السلام يُقَدِّم عوامل أهليته لتولي القيادة بين يدي عزيز مصر فيقول له- كما حكى الله عز وجل

عنه-:

﴿ٱجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾

[يوسف:٥٥]

فكون الإنسان أمينًا بتعبير ابنة الرجل الصالح، أو حفيظًا بتعبير يوسف عليه السلام- أي حافظًا لحدود الله ملتزمًا بشرعه- لا يكفي أن يجعله أهلًا لتحمل المسئولية العظيمة، إلا أن يكون قويًا بتعبير ابنة الرجل الصالح، وعليمًا بتعبير يوسف عليه السلام، أي عليمًا بالمهارات والقدرات التي تتطلبها مهمة القيام على أمر الناس.

ولذلك نجد النبي ﷺ يقول في أبي ذر رضي الله عنه: «**ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء من رجل أصدق لهجة من أبي ذر**»[١]، ومع ذلك يمنعه النبي ﷺ من تولي الإمارة، ويقول له: «**يا أبا ذر إني أراك ضعيفًا، فلا تولين إِمْرَةَ اثنين**»[٢].

---

(١) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل أبي ذر رضي الله عنه، رقم: ٣٧٣٧، ٣٧٣٨. وابن ماجه في سننه، المقدمة باب فضل أبي ذر، رقم: ١٥٢. والإمام أحمد في مسنده، رقم: ٦٢٣٢، ٦٢٤١، ٦٧٨١. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه رقم: ١٢٧. والغبراء: أي الأرض. والخضراء: أي السماء.

(٢) رواه مسلم، كتاب الإمارة، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة رقم: ١٨٢٥.

وهذا الفهم كان واضحًا وضوحًا شديدًا لدى المسلمين الأوائل، فما أن ظهرت دولة الإسلام حتى وجدنا للمسلمين نهضة علمية حضارية، وتسيُّدًا لساحة التقدم والمدنية، في نفس الوقت الذي كانت فيه أوربا تعيش في ظلمات الجهل والتخلف في العصور الوسطى، فقد أحس المسلمون مبكرًا بالحاجة إلى الاطلاع على علوم الأمم الأخرى، حيث لم يكن عند العرب قبل مجيء الإسلام رصيد علمي سابق، ولما كانت لغة العلم الغالبة يومئذ هي الإغريقية واللاتينية؛ فقد اتجه المسلمون إلى تعلم هاتين اللغتين، حتى يستطيعوا نقل العلم إلى اللسان العربي.

ومن هذه النقطة بدأت حركتهم العلمية، ترجموا كل ما كان معروفًا من العلم يومئذ، وتتلمذوا عليه في بادئ الأمر، ولكنهم سرعان ما اكتسبوا الحاسة العلمية، وأخذوا يستدركون الأخطاء التي كان العلم الإغريقي يحتوي عليها، ومضوا ينشئون العلوم ويصيغون الحضارة حتى أهدوا للبشرية المنهج العلمي التجريبي الذي يعتمد الوصول إلى الحقيقة عن طريق التجربة والبرهان لا عن طريق الفلسفة والنظريات كما كان يفعل الإغريق، وهذا المنهج هو الذي شكَّل الأصل الذي انطلقت منه أوروبا لتبني نهضتها بعد أن تخلى المسلمون طواعية عن حمل لواء القوة

والنهضة[1].

لذلك نقـول: إننا إذا كنا نريد لهذه الأمة أن تنهض من جديد لابد أولًا أن نعمل على بناء المؤمن القوي الفعال، هذا النموذج الذي قال فيه النبي ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»[2].

إنه المؤمن الملتزم بدينه، الناجح في حياته، المتفوق في عمله، المؤمن الذي يأبى أن يعيش عيشة الكسل والخمول، ويأبى أن تمر أيام حياته ولياليها دون أن يُزيد شيئًا على هذه الدنيا، كما يقول أديب الإسلام مصطفى صادق الرافعي: «**فإنك إن لم تُزد شيئًا على الدنيا كنت أنت زائدًا عليها**»[3].



(١) (واقعنا المعاصر)، الأستاذ محمد قطب، ص (٨٣) بتصرف زيادة واختصارًا.
(٢) رواه مسلم، كتاب القدر، باب الأمر بالقوة وترك العجز، رقم: ٢٦٦٤.
(٣) (وحي القلم)، مصطفى صادق الرافعي، (٢/ ٨٦).



ركيزتا البناء

وفي طريق بناء هذه الشخصية القوية نحتاج إلى خطة واضحة ومنهج محدد لبناء هذا النموذج الفذ، هذا المنهج الذي لابد أن يقوم على الركيزتين الأساسيتين:

(١) بناء الإيمان.

(٢) بناء جوانب القوة في شخصية المؤمن عبر إكسابه فنون الإنجاز والفاعلية.

وصحيح أن المنهج الرباني كما أسلفنا يحوي بين طياته كل مبادئ الإنجاز والفاعلية، إلا أنه لا يؤتي ثماره الكاملة، ولا يفعل فعله في النفوس، إلا إذا التزم به المسلمون على جميع مستوياتهم، أفرادًا وجماعات، شعوبًا وحكومات، إذ إنه بذلك وحده يصنع القالب التربوي الساخن الذي يجعل من المجتمع المسلم محضنًا صالحًا لصناعة هذه الشخصيات الفذة.

وبعد كل هذه السنين التي عاشها المسلمون في بُعد عن التمسك بمنهج الله؛ فإنه من الطبيعي أن تنشأ الغالبية العظمى منهم على مبادئ العجز والسلبية، نتيجة حرمانهم من هذا المحضن التربوي الذي يُنشئه تطبيق الإسلام في مجتمعات المسلمين.

فوجب علينا- فوق السعي لبناء الإيمان- أن نسعى أيضًا إلى بناء جوانب القوة في شخصية المؤمن؛ حتى نعالج تلك السلبيات التي أفرزتها مجتمعاتنا بعد أن انحرفت عن منهج الله، وذلك جنبًا إلى جنب مع السعي لبناء إيمان الأمة وتمسكها بأوامر الله تعالى، والتي منها امتلاك أسباب القوة كما سبق وأن قررنا.



حاجة ملحة



ولقد اهتم كثير من الدعاة والمصلحين والكتَّاب بالكلام على بناء الجانب الأول وهو الإيمان؛ حتى استفاضت المكتبة الإسلامية بالكتب المؤلفة عنه.

أما الجانب الثاني وهو بناء القوة، ففيه ندرة شديدة، وحتى الكتب المؤلفة فيه لا تخلو من ملاحظات، وعبر معاناتنا ومطالعتنا الطويلة لهذه الكتب العربية المترجمة أو المؤلفة في الإدارة والتنمية البشرية، وجدنا أن النادر القليل منها مفيد ونافع، ولكن أغلبها لا يخلو من سلبيات كثيرة، فمن هذه السلبيات على سبيل المثال:

(١) **الترجمة الحرفية**: والتي يشعر معها القارئ بعدم وضوح المعنى وافتقاد الاتساق في سياق الكلام، وهذا راجع أصلًا إلى أن المترجم غالبًا ما يكون غير متخصص في علوم الإدارة والتنمية البشرية.

(٢) **السطحية وغلبة الطابع النظري**: فلا تستطيع الظفر من الكتاب بمعنى عملي واضح، فهو يحوم حول المعنى ولكن لا يمسك به، فهو مصاغ على طريقة (يجب أن) وليس على طريقة (كيف؟).

(٣) **التكلف والتعسف**: فتجد الكاتب يتكلف ويتعسف في ربط المعنى الإداري بالمعنى الشرعي من الكتاب والسنة، ومع

اتفاقنا على وجوب بث الروح الإسلامية في هذه العلوم إلا أن ذلك لا بد أن يكون بموضوعية بلا تكلف ولا تعسف، ولا يشترط لقبول الحقيقة العلمية أن ينص عليها الكتاب والسنة، فالمهم أن لا تصادم شرع الله تعالى، وأن تكون مؤيدة بصريح العقل والتجارب والمشاهدات العلمية.

(٤) **التقليد الأعمى**: وهذه من أخطر السلبيات على الإطلاق، فبعض الكتَّاب قد وقع في آفة خطيرة للغاية ألا وهي الانبهار الشديد بالحضارة الغربية، ومن ثم القبول بكل ما أنتجته قرائح الغرب في علوم النفس والإدارة والتنمية البشرية، حتى ولو كان يتنافى مع روح شريعتنا الإسلامية، إن لم يكن يتنافى مع نصوص الوحي.

ومع إقرارنا بأن الغرب قد حاز قصب السبق في تلك العلوم وبلغ فيها شأوًا عاليًا، وأن الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق بها، وأننا ينبغي أن نستفيد منها ما وسعنا ذلك، إلا أننا لا يجوز لنا أن نفقد تميزنا الإسلامي واستعلاءنا الإيماني حتى لا نقع فريسة لتلك الهزيمة النفسية التي تشعر المسلم بالضعف والهوان أمام الآخرين.

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٩]

فنأخذ منهم ولكن عن علم، ونستفيد من علومهم ولكن بوعي وبصيرة واستقلالية، فنعرض ما أنتجوه على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ ثم على صريح العقل والتجارب العملية؛ لننفي زيف ما عندهم ونقر صحيحه ونضيف إليه ما نستطيع أن نبدعه، وبذلك تكون استفادتنا مثمرة وبناءة.

(٥) **الافتقار إلى المنهجية:** فتجد معظم هذه الكتب تفتقر إلى منهج موضوعي متكامل يشكل خطة شاملة لبناء الشخصية الفعالة، وإنما تتكلم عن جانب معين مجتزأ من فنون الفاعلية، بحيث لا يستطيع أن يستفيد منها إلا شخص فعال أصلًا، وإنما يطمح فقط إلى المزيد من الفاعلية، وللأسف فإن معظم الشخصيات في أمتنا ليست كذلك، إنما هي تحتاج إلى إعادة بنائها من جديد لكي تصبح مؤهلة لتطبيق فنون الإنجاز والفاعلية، ولا يكون هذا إلا وفق منهج موضوعي متكامل.

مما سبق تتبين حاجة المكتبة الإسلامية إلى عمل جديد يتلافى هذه السلبيات، يأخذ من كتب الغرب وعلومهم، ولكن يزنها أولًا بميزان الشريعة فينتقي باستعلاء كما فعل المسلمون الأوائل، ويبث روح الإسلام في هذه العلوم، ويضيف إليها بوعي وحكمة، وما أكثر ما تستطيع إضافته إلى فنون الفاعلية من تراث الإسلام.

ذلك أنه دين الفطرة «وللفطرة في بلاد الإسلام كتاب يتلى

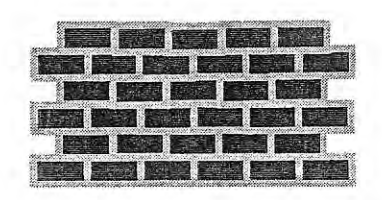
ودروس تلقى، وشعوب هاجعة، ولها في بلاد أخرى رجال ينقبون عن هداياتها كما ينقب المعدنون عن الذهب في مكامنه، فإذا ظفروا بشيء منه أعلوا قدره واستفادوا منه، وصدق من قال: **الناس رجلان: رجل نام في النور، ورجل استيقظ في الظلام.**

ونتاج الفطرة الإنسانية في البلاد المحرومة من أشعة القرآن الكريم نتاج واسع الدائرة، متفاوت القيمة، وليس يصعب على من له أثارة من علم بالإسلام الحنيف أن يرى المشابهة بين الدلالة الصامتة هناك والدلالة الناطقة هنا، أو بين العنوان المفصول عن موضوعه هنا والموضوع الذي فقد عنوانه هناك.

إن الانحطاط الفكري في الأقطار المحسوبة على الإسلام يثير اللوعة، واليقظة العقلية في الأقطار الأخرى تثير الدهشة، ولا يحملنا على العزاء إلا أن هذه اليقظة هي صدى الفطرة التي جاء الإسلام يعلي من شأنها، أما تخلف المسلمين فسببه الأول التنكر لهذه الفطرة السليمة وتخاذلهم عن السير معها»[1].



(١) (جدد حياتك)، الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، ص (١٢).



معالم في طريق البناء

ومن خلال استقرائنا لأساسيات علوم الإدارة والتنمية البشرية أمكننا التوصل إلى الملامح الآتية، والتي تشكل في مجموعها منهجًا متكاملًا يصلح اعتماده كخطة تربوية شاملة لصناعة الشخصية المؤمنة الفعالة، تتكون هذه الخطة من الأركان التالية:

الركن الأول: صناعة الهدف:

وهي أهم خطوة على الإطلاق؛ لأن تحديد الهدف هو الذي يرسم مسار حياة الإنسان، ومهما بذل المؤمن من جهد وعرق فإنه لن يحقق شيئًا ما لم يكن قد حدد هدفه بدقة كما يقول بيل كوبلاند: «المشكلة في عدم وجود هدف لك في الحياة، أنك قد تقضي حياتك تركض هنا وهناك دون أن تحرز أي شيء»[1].

(١) (قوة الأهداف اقتباسات إدارية للانتقال إلى مستوى أعلى في الحياة) كاثرين كارفيلس، ص (٤٥).

الركن الثاني: إتقان التخطيط:

فبعد تحديد الهدف لابد أن تتقن التخطيط للوصول إليه، فهذه سنة الله تعالى في خلقه والتي تسري على كل الأهداف صغيرها وكبيرها من إعداد كوب من الشاي إلى استعادة هذه الأمة لعزها ومجدها.

يقول د. هشام الموصلي:

"if you fail to plain you plain to fail"

يعني: «**إذا فشلت في التخطيط فقد خططت لتفشل**»[1]، ونظرة واحدة إلى حياة النبي ﷺ تخبرك أنه كان عبقريًّا في التخطيط، وأنه ﷺ ما أقدم على أمر من الأمور إلا ووضع خطة محكمة لتنفيذه، وفي حادثة الهجرة بل في حياته المباركة كلها أبلغ دليل على ذلك، كما سيتضح معنا إن شاء الله عبر هذه السلسلة المباركة.

الركن الثالث: الإيجابية:

فقد يحدد الإنسان هدفه ويضع خطة محكمة للوصول إليه ولكنه لا يتحرك لتنفيذ هذه الخطة؛ لأنه يعاني من قيد السلبية الذي يشل فاعليته ويعجزه عن التقدم نحو الهدف، فلا يفيده تحديده لهدفه

---

(١) (كيف تخطط لحياتك؟) د. صلاح صالح الراشد ص ٦٥.

وتخطيطه له .. فالتخطيط أمر جيد، وتحديد الهدف شيء عظيم، ولكن إذا لم تضع خططك في حيز التنفيذ فلن تحصل على شيء، ولا نعلم دينًا أعلى من قيمة الإيجابية والعمل كهذا الدين العظيم.

الركن الرابع: الجماعية:

فلا يكفي لكي يحقق الإنسان أهدافه أن يتحرك لتنفيذ خطته بمفرده فإنه حتمًا يحتاج إلى غيره، وهناك من الأعمال والتكليفات الشرعية ما لا يتم إلا بجهد جماعي؛ وذلك لأن الحياة مجملًا لا تقوم إلا عبر التعاضد والتعاون بين الجميع، ولا يمكن أن يحقق الإنسان أكبر قدر من الفاعلية إلا بإتقانه فن الجماعية ومهارة التعاون الخلَّاق مع الآخرين.

«فإن محاولة تحقيق أقصى قدر من التأثير والفاعلية من خلال الاعتماد على الذات (فقط) يمثل محاولة لعب كرة المضرب بعصا لعبة الجولف، فالأداة غير متناسبة مع الواقع»[1].

الركن الخامس: اكتساب المهارات والقدرات:

فلكي يكون الإنسان على درجة عالية من الكفاءة والفاعلية في جميع مجالات الحياة لابد له أن يكتسب العديد من المهارات

---

(١) (العادات السبع لأكثر الناس فاعلية)، ستيفن كوفي، ص (٧٠).

والقدرات التي تيسر له السير على درب الفاعلية وتمكنه من تجاوز ما يقابله من العقبات، يقول رسول الله ﷺ: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز»[1].

فلابد أن يحرص المؤمن الفعال على تعلم ما ينفعه من قدرات ومهارات لازمة لتحقيق أهدافه، فالذين ينجحون هم القلة التي تتميز بالكفاءة والفاعلية والذين لديهم الطموح والإرادة القوية لتطوير أنفسهم، وهذه القدرات التي يطور المرء من خلالها نفسه تشمل الآتي:

(١) مهارات إدارة الذات، مثل: إدارة الوقت، اتخاذ القرار..

(٢) مهارات في الاتصال وبناء العلاقات.

(٣) مهارات في القيادة.

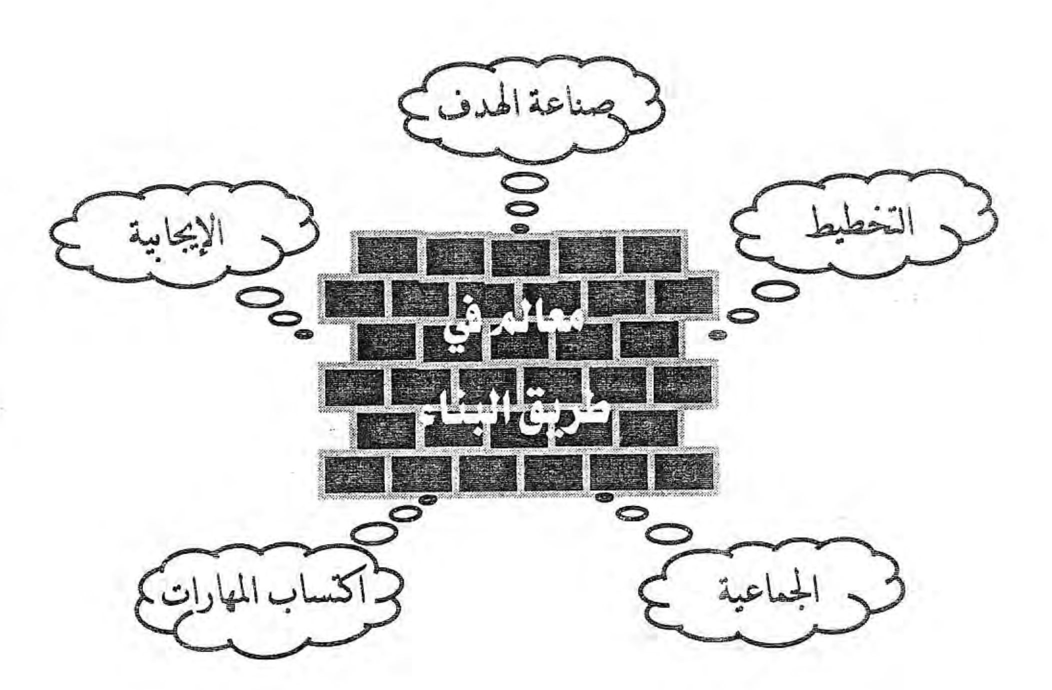
(٤) مهارات في إدارة العقل، مثل: التفكير، الذكاء، التركيز..

(٥) مهارات في إدارة العمل مثل: التفويض، التفاوض، إدارة الاجتماعات..

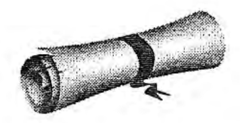
(٦) مهارات نفسية، مثل: بناء الثقة بالنفس، الإرادة القوية..

---

(١) رواه مسلم، كتاب القدر باب الأمر بالقوة وترك العجز، رقم: ٢٦٦٤.


صناعة الهدف
الإيجابية
التخطيط
معالم في
طريق البناء
اكتساب المهارات
الجماعية

❊ ❊ ❊



وعود مشروطة

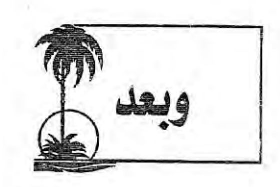
وبهذه الخطوات الخمس الرئيسة تتم في رأينا صناعة المؤمن الفعال الذي نكاد نرى ونتخيل الآن صورته بعد أن صُنع وفق هذا المنهج، وقد ازداد إيمانه بربه واعتلى ذروة الفاعلية، فمضى في طريقه يصنع الحياة بهذا الدين، وقد امتلأ قلبه بالسعادة والطمأنينة وهو يشعر برضا ربه عنه، ويرى بعينيه ما حققه من إنجازات عظيمة لنفسه وأهله ودينه وأمته في جميع ميادين الحياة، ويرجو بهذا أن يكون مع النبي ﷺ وصحبه في ذرا الجنان، كما كان مثلهم في الدنيا على ذرا الفاعلية.

هذا ما نرجوه عبر هذه السلسة المباركة والتي بدأنا أولى حلقاتها في هذا الكتاب «**صناعة الهدف**»؛ إذ إن صناعة الهدف تشكل كما أسلفنا الخطوة الأساسية نحو صناعة المؤمن الفعال، ونرجو من الله تعالى أن يمد في العمر وينسأ في الأجل حتى نقطع معًا بقية الخطوات على درب الفاعلية.

وكلنا أمل في الله عز وجل أن تعينك سلسلتنا هذه على تبوء قمة النجاح؛ حتى تسهم بنصيب وافر في صناعة مجد أمتك وعودتها إلى المكانة العلية التي أرادها لها الله تبارك وتعالى.

وساعتها سنعيد عليك طرح ذلك السؤال المستفز «هل حقًّا **حياتك تساوي ثمن بقائها؟**»، ولكنه لن يكون مستفزًّا آنذاك، بل سيكون مبهجًا مفرحًا لأنك ستدق صدرك حينها وتقول في ثقة ويقين: «**نعم بفضل الله تعالى حياتي تستحق الآن أكثر من ثمن بقائها بعد أن أصبحت مؤمنًا فعالًا**».





فنرجو من كل مؤمن قرأ هذا الكتاب وانتفع بما فيه أن لا يبخل علينا بدعوة في ظهر الغيب أولًا، ثم بنصيحة أو ملاحظة أو استدراك نسعد به ونستفيد منه

والله من وراء القصد

وهو حسبنا ونعم الوكيل

❋ ❋ ❋

مقدمات لابد منها

(١) وقفة مع الفاعلية

«لكل إنسان وجود وأثر . . ووجوده لا يغني عن أثره . . ولكن أثره يدل على قيمة وجوده»

د/ عليِ الحماديِ

أيها القارئ الكريم: هل أنت شخصية فعالة؟

إنك لا تستطيع أن تجيب بدقة عن هذا السؤال إلا إذا حددت بدقة معنى الفاعلية ابتداءً، «فالفاعلية تكمن في التوازن، وهو ما أُطلِق عليه توازن الإنتاج والقدرة على الإنتاج»[١].

ولشرح هذا التعريف وتوضيحه نورد هذه القصة الخرافية الشهيرة، والتي يشرح لنا من خلالها (ستيفن كوفي) معنى الفاعلية فيقول: «تروي الخرافة قصة مزارع فقير اكتشف ذات يوم بيضة ذهبية متلألئة تحت أوزته، حيث ظن لأول وهلة أنها مجرد خدعة، غير أنه لدى شروعه في الإمساك بها وإحاطتها بيديه أمعن التفكير ثانية،

(١) (العادات السبع لأكثر الناس فعالية)، ستيفن كوفي، ص (٧٥).

وبتقليبها بين يديه بدأت البيضة تحتل مكانة أثيرة لديه، لقد كانت البيضة من الذهب الخالص .... ولم يصدق المزارع نفسه من الفرحة، فكيف هبطت عليه هذه الثروة؟!.

وفي اليوم التالي ذهب عقله شعاعًا حينما وجد المفاجأة تتكرر، ويومًا بعد يوم كان يهرع فور استيقاظه من النوم إلى مربض الأوزة ليجد بيضة ذهبية أخرى.

وهكذا أصبح المزارع الفقير واسع الثراء، وكان الأمر كله يبدو مستعصيًا على التصديق، غير أنه مع تزايد الثروة جاء في ركابها الطمع والتسرع، ومع فقدانه الصبر على الانتظار لجمع البيض الذهبي يومًا وراء يوم قرر المزارع ذبح الأوزة ليحصل على البيض كله جملة واحدة، ولما فتح بطن الأوزة وجده خاويًا، لم تكن هناك بيضة ذهبية واحدة، وهكذا استحال عليه أن يحصل على المزيد منه، لقد قضى المزارع على الأوزة التي كانت مصدر إنتاجه»[1].

ولنفرض أن هناك رجل أعمال يعمل يوميًّا مدة لا تقل عن ست عشرة ساعة، قد يستطيع أن يواصل عمله بهذا المعدل لفترة

---

(١) (العادات السبع لأكثر الناس فاعلية)، ستيفن كوفي، ص (٧٣).

من الزمن ويكون إنتاجه مبهرًا لأول وهلة، ولكنه سرعان ما سينهك وتعتل صحته ويفقد إنتاجه بالكلية؛ لأنه فضل الحصول علىَ البيض الذهبي كله دفعة واحدة، لم يراعِ ذلك التوازن الضروري بين الإنتاج (العمل) والقدرة على الإنتاج (الحرص على راحة البدن وشحذ الطاقة).

وعلى النقيض من ذلك مشهد رجل آخر لا يعمل إلا ساعتين يوميًّا كحد أقصى- وهذا كحال أغلب الموظفين في بلادنا الإسلامية- فإنه بذلك يكون غير منتج وبالتالي غير فعال.

فلكي تكون فعالًا لابد أن تنتج بأقصى ما تستطيع، ولكن في الحدود التي تجعل من هذا الإنتاج يأخذ صفة الدوام والاستمرارية، بحيث تحقق ذلك التوازن بين الإنتاج والقدرة على الاستمرار في الإنتاج.

وإليك الآن هذا الاختبار الذي نرجو منك أن تخوضه بصدق وتجرد- كما هو الظن فيك إن شاء الله تعالى- لكي تحدد بصورة عملية درجة فاعليتك الحقيقية، وليس عليك الآن إلا أن ترصد درجات الأسئلة الآتية، وذلك باستخدام مفتاح التقويم التالي:

* * *

«[دائمًا: ٥] [غالبًا: ٤] [أحيانًا: ٣] [نادرًا: ٢] [بتاتًا: ١]»

م	الأسئلة	الدرجات
١	أنام ست ساعات يوميًّا	
٢	أمارس الرياضة ثلاث ساعات أسبوعيًّا	
٣	أصرف ساعة يوميًّا على الأقل في الذكر والصلاة والقرآن	
٤	عندي أهداف بعيدة المدى لكل مجالات حياتي	
٥	عند اتخاذ قرار أتحرك لتنفيذه بلا إبطاء	
٦	أمضي ساعة يوميًّا في تطوير قدراتي وذاتي	
٧	أخطط في بداية كل سنة لتحقيق أهدافي خلالها	
٨	أضع برنامجًا شهريًّا لأعمالي	
٩	أضع برنامجًا أسبوعيًّا مسبقًا	
١٠	أضع قائمة بأعمالي اليومية	
١١	أحرص على التعاون مع الآخرين لمنفعة الجميع	
١٢	أصرف ١٠ ٪ كحد أدنى من وقتي في التخطيط لحياتي	
١٣	أتذكر باستمرار الغاية التي من أجلها أعيش	
١٤	أحرص على فهم الآخرين أثناء التعامل معهم	
١٥	أحقق ما خططت له	
١٦	أقضي غالب وقتي فيما هو مهم بالنسبة لي	
١٧	أتمتع بالثقة في نفسي وما وهبني الله من إمكانات	

١٨	أستطيع تحفيز من أعمل معهم بسهولة	
١٩	لا أقوم بأي عمل يمكن لمن هم تحت إشرافي القيام به	
٢٠	أستطيع حصر تفكيري في مشكلة معينة لفترة طويلة	

إذا أحرزت أكثر من ثمانين بالمائة من الدرجات فإن فعاليتك مرتفعة، وبتواصلك معنا عبر هذه السلسلة يمكن أن تصل إلى أقصى قدر ممكن من الفاعلية إن شاء الله.

أما إذا أحرزت أقل من ثمانين بالمائة فإنك في حاجة ماسة إلى أن ترفع فاعليتك عبر تفاعلك معنا إن شاء الله تعالى .

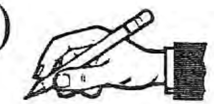
❋ ❋ ❋

والآن بعد أن حددت درجة فاعليتك تعال معنا لنبدأ

السير معًا على درب الإنجاز

فإلى هناك

❋ ❋ ❋



(٢) اكتب «سيناريو» حياتك

«ما أحسب عمر بن عبد العزيز خطا خطوة إلا وله فيها نية»

هشام بن عبد الملك يصف الخليفة الراشد الخامس

في لقائنا معك عبر هذا الكتاب أنت مدعو لكي تخوض تجربة طريفة ومهمة جدًّا في الوقت نفسه، ستكون بداية انقلاب تام في حياتك كلها إن شاء الله، ويقيننا أن حرصك على بناء نفسك وتحسين حياتك سوف يجعلانك جادًّا في خوض هذه التجربة بكل أمانة وصبر وإتقان.

اجلس وحيدًا في مكان هادئ منعزل لا يشغلك فيه أي شيء، ولا تفكر في أي أمر آخر فيما عدا ذلك الموقف الذي ندعوك لأن تضع نفسك فيه وكأنه قد حدث لك حقيقة لا خيالًا.

والآن اجلس على أريكة مريحة واسترخ تمامًا، أغمض عينيك، وتخيل نفسك وقد تقدم بك الزمن وعلا الشيب رأسك وبلغت الستين من عمرك وقد أحاط بك أحفادك يطلبون منك سرد تاريخك وإنجازاتك، سل نفسك: ماذا تحب أن تقول لهم؟
والآن أحضر ورقة وقلمًا، دَوِّن كل كلمة تحب أن تخبرهم بها

في جميع جوانب حياتك، كيف كانت سلوكياتك كابن وأخ وزوج وأب وصديق؟ ما هي المراكز التي شغلتها في حياتك العملية؟ ما الشهادات العلمية التي حصلت عليها؟ كيف كانت علاقتك بربك ومدى حرصك على التزام تعاليم إسلامك؟ ما هي المهارات التي أجدتها؟ ماذا قدمت من إنجازات لتحقيق نهضة أمتك؟ ربما تفضل الاستعانة بالاستمارة الآتية:

إنجازاتي في الحياة	
الجانب	**الإنجازات**
(١) علاقتي بربي	....
(٢) سلوكي كزوج	....
(٣) سلوكي كأب	....
(٤) سلوكي كابن	....
(٥) سلوكي كأخ	....
(٦) سلوكي كصديق	....
(٧) المراكز المهنية التي شغلتها	....
(٨) الشهادات العلمية التي حصلت عليها	....
(٩) المهارات التي أجدتها	....
(١٠) إسهاماتي في نهضة المسلمين	....

كن فنانًا لا فرشاة وألوانًا

وإذا كنت قد خضت معنا تلك التجربة السابقة فإنك بذلك تكون قد وقفت مع نفسك وقفة تنتشلها بها من زحمة الحياة، وتحاسبها على حياتك الماضية، ومدى ما حققت فيها من إنجازات.

كما قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ ... ﴾ [الحشر: ١٨].

إننا نريد منك بتلك التجربة أن تبدأ حياة جديدة وفي ذهنك تصور واضح ومحدد لما تريد أن تحققه في مستقبل عمرك، فتنظر إلى هذه الحياة نظرة كلية، على أنها سوف تنتهي في يوم من الأيام؛ فينبغي إذًا أن تستغل كل لحظة منها في تحقيق أكبر نفع لك ولأهلك ولأمتك، وأن تقيس تصرفاتك اليوم وغدًا وبعد غد بل وفي كل غد على أن كل جزء فيها يمثل بعضًا من كل، وهذا الكل هو حياتك بأكملها، كما يقول الحسن البصري رحمه الله: «ابن آدم، إنما أنت أيام، كلما ذهب يوم ذهب بعضك»[١].

---

(١) (سير أعلام النبلاء) الذهبي (٤/ ٥٨٥).

فإذا عرفت من الآن ماذا تريد من حياتك؛ فإنك تستطيع أن تميز بين ما هو مهم وما هو عديم أو قليل الأهمية بالنسبة لك على المدى الطويل، ومن ثم فإنك لن تبدد وقتك وجهدك وحياتك في أعمال مبعثرة لا رابط بينها، ولا هدف يجمعها، ثم تفاجأ بعد سنوات طويلة أنك لم تحقق شيئًا مذكورًا، رغم كل ما بذلته من جهد، وما أنفقته من وقت.

إننا نريد منك أيها المؤمن أن تكتب من الآن أفضل «سيناريو» ممكن لحياتك المستقبلية، بحيث تتمكن من استثمارها على أفضل نحو ممكن بما يحقق لك أعلى درجات النجاح الممكنة في الدنيا والآخرة؛ وبذلك تتميز عن أكثر الناس الذين يكتفون فقط بإدارة يوميات الحياة ويفشلون في قيادتها، والفرق كبير جدًّا بين هاتين الكلمتين: الإدارة والقيادة.

فالإدارة تعني: كيف تحقق ما تصبو إليه من أهداف؟

أما القيادة: فهي أن تحدد أولًا ما هي الأهداف التي تصبو لتحقيقها؟

الإدارة: هي أن تصعد السلم بسرعة وكفاءة.

أما القيادة: فهي أن تختار أولًا السلم الذي تريد صعوده.

وبعبارة مختصرة: **الإدارة هي الأداء الصحيح للأشياء، والقيادة هي أداء الأشياء الصحيحة.**

ومعظم الناس لا يدركون هذا الفرق الواسع بين هاتين الكلمتين؛ فيقعون فريسة الانشغال بدوامة الحياة اليومية، وإدارة تفاصيلها، وينسون أن يحددوا لأنفسهم أهدافًا يعملون على تحقيقها، ومن كان هذا حاله فإنه يتخلى طواعية عن قيادة حياته؛ ومن ثم يترك للآخرين وللظروف كتابة «سيناريو» عمره، ويكتفي هو فقط بإدارته والتفاعل مع يومياته، ويظن نفسه فعالًا مادام أنه مشغول.

وهذا لا شك ظن خاطئ؛ فلا يعتبر فعالًا من يجد نفسه في شغل دائم، فقد يكون مشغولًا بأمور ثانوية وأمور صغيرة، ويكون قد ترك أمورًا مهمة، **فالقاعدة التي تقول: «أنا مشغول إذًا أنا فعال» غير صحيحة**[1].

فالنجاح والفاعلية إذًا لا يعتمدان على ما نبذله من جهد بقدر اعتمادهما على ما إذا كان هذا الجهد يسير في الطريق الصحيح،

(١) (الفاعلية وعوامل تنميتها)، د. محمد العبدة، ص (٩).

ولذلك فنحن نتعجب هنا من إنسان يستطيع أن يصنع حياته بإذن الله كأفضل ما يكون، ولكنه مع ذلك يترك للآخرين هذه المهمة، ولا يخطر على باله أن يسائل نفسه: «لماذا يجب أن أكون فرشاة وألوانًا وبيدي أن أكون أنا الفنان؟!»[1].

فينبغي لك إذًا أيها المؤمن العاقل أن تبدأ من الآن في كتابة «سيناريو» حياتك، بحيث تمسك بزمام قيادتها ولا تكتفي فحسب بإدارتها كما يفعل معظم الناس، وعندها ستختار أي الرجلين تحب أن تكون[2]:

قصة حياة قائد لحياته	قصة حياة مدير لحياته
- الرغبة في التفوق.	- الرغبة في أن تمر الحياة بسلام.
- ناجح.	- عادي.
- ولد ناجحًا في يوم ناجح سنة ١٤٢٠هـ.	- ولد عاديًّا في يوم عادي سنة ١٤٢٠هـ.
- كانت درجاته الدراسية مرتفعة.	- كانت درجاته الدراسية مقبولة.

---

(١) (قوة الأهداف اقتباسات إدارية للانتقال إلى مستويات أعلى في الحياة)، كاثرين كارفيلس، ص (١٧).

(٢) (صناعة النجاح)، د. طارق السويدان، ص (٩٧) بتصرف.

قصة حياة قائد لحياته	قصة حياة مدير لحياته
- قضى أربعين سنة في خدمة الأمة، شغل عددًا من المراكز الريادية، اغتنم الفرص، وطور نفسه ومواهبه، وشارك الناس في الأشياء الناجحة.	- قضى أربعين سنة في خدمة الظروف، شغل عددًا من المراكز المتواضعة، لم يخض أبدًا مخاطرة، أو يغتنم أية فرصة، ولم يطور مواهبه، ولم يشترك مع أحد في شيء نافع.
- شعاره المفضل «أينقص الدين وأنا حي».	- شعاره المفضل «لا دخل لي في هذا».
- عاش ٧٠ سنة مليئة بالنجاح والكفاح بعزم وإصرار، فعاش ناجحًا ومات وبكت عليه الأمة؛ فولد سنة ١٤٢٠هـ، ومات سنة ١٤٩٠هـ، وبقي ذكره في قلوب الناس كما بقي مسكه وعبيره.	- عاش ٧٠ سنة دون هدف أو خطة أو عزم أو تصميم، فعاش عاديًّا، ومات موتة عادية، ولم يشعر به أحد؛ فولد سنة ١٤٢٠هـ، ومات حيًّا سنة ١٤٤٠هـ، ودفن ١٤٩٠هـ.

قد مات قوم وما ماتت مكارمهم　　وعاش قوم وهم في الناس أموات

***

(٣) أسارى القيود العشرة

قام أحد طلبة الماجستير في جامعة هارفارد الأمريكية بإجراء دراسة نادرة، كان ذلك في عام ١٩٥٣م، حيث أجرى هذا الطالب استفتاءً لخريجي الجامعة في تلك السنة، وكان السؤال الذي وجهه إليهم هو: هل لك أهداف محددة مكتوبة؟

وكانت النتيجة أن ٣٪ فقط من هؤلاء الخريجين وضعوا لهم أهدافًا محددة ومكتوبة عما يريدون القيام به في حياتهم.

وبعد عشرين سنة من ذلك، أي في عام ١٩٧٣م رجع إليهم صاحب البحث ليستطلع أحوالهم، فوجد أن الـ٣٪ حققوا نجاحًا في وظائفهم وأعمالهم أكثر مما حققه الـ ٩٧٪ الآخرون مجتمعين[١].

إن هذه النسبة المخيفة لا تنطبق فقط على طلبة جامعة هارفارد الأمريكية، إنما للأسف هي النسبة المتحققة على مستوى البشر، فيرى العلماء من خلال دراسات أعدت أن نسبة الذين يخططون لحياتهم لا تصل ٣٪ من مجموع الناس كلهم، وأن هذه النسبة

---

(١) (آفاق بلا حدود)، د. محمد التكريتي، ص (٥٠).

القليلة هي التي تقود المجتمعات في مجالات الحياة المختلفة.

وهذه الدراسات إنما أجريت على ما يسمى بشعوب الدول المتقدمة، فما بالنا بشعوبنا ونحن الآن في ذيل الأمم، فلماذا أغلب الناس لا يحددون أهدافهم في الحياة ويفضلون أن يعيشوا حياتهم كيفما اتفق بلا رسالة أو رؤية واضحة؟!

والجواب أن هناك قيودًا عشرة تأسر معظمنا، وتمنعه من أن يحدد وجهته في الحياة، ونريد منك أيها المؤمن الكريم أن تتأمل معنا في هذه القيود؛ لتعلم أي قيد وقعت في أسره فمنعك من تحديد هدفك حتى نتعاون معًا على فكه بإذن الله تعالى.

القيد الأول: الخوف من الفشل:

الخوف من الفشل هو عدو لدود للإنسان، وهو عائق كبير في طريق نجاحه وفاعليته، وإنما يخاف الإنسان من الفشل لأنه يسبب له ألمًا نفسيًّا شديدًا، والإنسان بطبعه مستعد لأن يفعل أي شيء لتجنب الألم، لاسيما لو كان ألمًا نفسيًّا، حتى ولو كان هذا الألم هو الطريق الوحيد نحو تحقيق النجاح، ومن ثم يفضل معظم الناس أن يعيشوا بدون أهداف واضحة خشية الوقوع في الإحساس بالألم من جراء الفشل في تحقيق هذه الأهداف.

وقد تجد كثيرًا من الناس يغذُّون الخوف من الفشل في نفوسنا، وتأمل معنا موقف زيد بن حارثة القائد في جيش المسلمين يوم مؤتة وقد قال له بعضهم: «قد وطئتَ البلاد وأخفت أهلها، فانصرف فإنه لا يعدل العافية شيء»[(١)].

لكن عبد الله بن رواحة حسم الموقف بقوله: «يا قوم إن التي تكرهون للذي خرجتم تطلبون ... الشهادة!!! وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به، فانطلقوا فإنما هي إحدى الحسنيين: إما ظهور، وإما شهادة»، فألهبت كلماته مشاعر المجاهدين فكانت ملحمة سجل فيها القادة الثلاثة بطولة عظيمة انتهت باستشهادهم[(٢)].

ولذلك فقد كان نبينا محمد ﷺ يستعيذ بالله تعالى من الجبن ويقرن بينه وبين العجز والكسل، فجاء في دعائه ﷺ: «**اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل، ومن الجبن والبخل**»[(٣)].

وإذا كان هذا هو حال أغلب الناس أنهم يخافون من الفشل،

---

(١) (تاريخ دمشق)، لابن عساكر، (١/ ٣٩٦).

(٢) (السيرة النبوية دروس وعبر)، د. علي محمد الصلابي، ص (٥٥٥).

(٣) رواه البخاري، رقم: ٢٨٢٣، ومسلم رقم: ٢٧٠٦. وتقدم تخريجه تفصيلًا ص (٩).

فإنك أيها المؤمن الصادق لابد أن تنأى بنفسك عن هذه الحال؛ إذ كيف تخاف من الفشل وأنى للخوف أن يتسلل إلى قلبك وأنت تسمع قول النبي ﷺ وهو يوصي عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، ويوصيك أنت أيها المؤمن من بعده فيقول: «**واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وما أصابك لم يكن ليخطئك**»، ويقول لك: «**واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرًا**» [(١)].

القيد الثاني: احتقار الذات:

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يحقر أحدكم نفسه**»، قالوا: يا رسول الله، كيف يحقر أحدنا نفسه؟ قال: «**يرى أمرًا لله عليه فيه مقالٌ، ثم لا يقول فيه ..**» [(٢)].

فكثير من المسلمين يحتقر نفسه، ويقلل من قدراته وإمكاناته إلى الحد الذي يصيبه بالإحباط والعجز.

ومن ثم يشعر أن النجاح والتميز قد خُلق لأجل الآخرين من القادة والعظماء، وليس له هو لأنه لا يستحقه، ولذلك فهو

---

(١) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة، رقم: ٢٥١٦. وصححه الألباني، صحيح الجامع الصغير، رقم: ٧٨٣٨.

(٢) رواه أحمد في المسند، رقم: ١١٤٩٤، بإسناد صحيح.

يقبل ويرضى بكل شيء وينتظر ما تأتي له به الأيام، في سلبية وخنوع واستسلام دون أن يصنع لنفسه أهدافًا عظيمة يسعى لتحقيقها.

وليست هذه دعوة للتسخط على أقدار الله والعياذ بالله، وإنما هي دعوة للفهم الصحيح للقضاء والقدر، الذي فهمه عمر بن الخطاب ﷺ لما أبى أن يدخل الشام عندما انتشر بها الطاعون، فقالوا له: «أفرارًا من قدر الله يا أمير المؤمنين؟ فقال ﷺ: نفر من قدر الله إلى قدر الله»[1].

فهل قدر علينا نحن المسلمين- في هذه الأيام- الفشل والإحباط والعجز والسلبية؟ كلا بالطبع.

فإننا عبيد لرب كريم علمنا أن نردد- كما في كتابه الكريم- ﴿ .. وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾[الفرقان: ٧٤].

فلماذا نقلل من شأن أنفسنا؟ ونحتقر ذواتنا، مع أن ذلك لا يمت إلى ديننا بصلة، وهنا يقع كثير من المؤمنين ضحية الفهم الخاطئ لقضية أخرى؛ إذ يخلطون بين الكبْر وبين تقدير الذات من ناحية، ثم بين التواضع المحمود وبين احتقار الذات من

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر في الطاعون، رقم: ٥٧٢٩.

ناحية أخرى.

فالكبْر احتقار الناس مع رد الحق وإنكاره، وهذا عند الله عز وجل من أعظم الكبائر، أما تقدير الذات أو الثقة بالنفس فهو أن يعرف العبد ما حباه الله به من هبات وإمكانات لتحقيق الخلافة في الأرض، ويعتقد جازمًا أن هذه المواهب إنما هي محض فضل الله ومنته، فلا يركن إلى النعمة وينسى المنعم سبحانه وتعالى.

وهذا أمر مطلوب، وكان النبي ﷺ يحرص على زرعه في نفوس أصحابه، وليس أدل على ذلك من هذه الألقاب العظيمة التي كان ﷺ يطلقها على أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين، فيلقب أبا بكر بالصديق وعمر بالفاروق، وخالد بسيف الله المسلول، وأبا عبيدة بأمين هذه الأمة، وحمزة بأسد الله وأسد رسوله ﷺ، وغيرهم كثير من صحابته الكرام، ممن رباهم النبي ﷺ على عينه، فجمعوا بين تقدير الذات والثقة بالنفس الدافعة إلى معالي الأمور، وبين التواضع وخفض الجناح للمؤمنين.

كما وصفهم الله تعالى في كتابه ﴿ .. أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ .. ﴾[المائدة: ٥٤].

وأما احتقار الذات المعجِّز للنفس الذي يدفع إلى الفشل

واليأس والإحباط فليس من ديننا العظيم في شيء.

وتأمل معي قول الله- عز وجل- في شأن الهدهد: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ ﴾ [النمل: ٢٢].

حيث مكث الهدهد زمنًا غير بعيد ثم حضر فعاتبه سليمان على مغيبه وتخلفه، فقال له الهدهد: علمت ما لم تعلمه من الأمر على وجه الإحاطة، وجئتك من مدينة سبأ باليمن بخبر خطير الشأن، وأنا على يقين منه.

فانظر كيف كان الهدهد العظيم سببًا في إيمان مملكة بأكملها بمعرفته قدر نفسه وقيمتها، وعدم احتقارها والتقليل من شأنها.

القيد الثالث: الاعتقاد الخاطئ:

فبعض الناس يعتقدون أن إعمال الذهن في تحديد الأهداف هو من قبيل تضييع الأوقات، ويستندون في ذلك إلى وجود أمثلة واقعية لأناس لم يعتنوا بتحديد الأهداف ومع ذلك فقد حققوا نجاحات كبيرة في حياتهم، ولا يدرك هؤلاء أن هذه النجاحات جزئية ليست ذات بال؛ فالأصل إذًا أنه لا نجاح ولا إنجاز في الحياة إلا بتحديد الهدف، وأما إذا نجح من لا يحدد هدفه، فيكون نجاحه جزئيًّا غير ذي قيمة حقيقية، فلا توجد إنجازات حقيقية بدون أهداف، فإن «من يمضِ بسفينته في بحر الحياة دون أن

يعرف أي ميناء يقصده، فلا ريح مواتية بالنسبة له»[1].

القيد الرابع: تعطيل النصف الأيمن من المخ:

تدل الأبحاث العلمية الحديثة في علم «الفسيولوجيا»[2] على أن النصف الأيمن من المخ يختلف في وظائفه عن النصف الأيسر مع أنهما متشابهان تمامًا من الناحية التشريحية، والمقصود باختلاف الوظائف هنا هي الناحية النفسية، أما الوظائف الحيوية فهما فيها متماثلان، فكلاهما يحتوي على منطقة حركية ومنطقة للحواس ومنطقة بصرية ومنطقة سمعية، أما الوظائف النفسية فهي مختلفة تمامًا لكل منهما، فلقد أثبتت الدراسات والتجارب أن النصف الأيسر من الدماغ هو المسئول عن وعي الإنسان وخبرته باللغة، والمنطق والرياضيات والعلوم والكتابة.

أما النصف الأيمن من الدماغ فهو النصف اللاواعي، والذي يكمن فيه الخيال والتصور والإبداع، والمقدرة على التخيل الفراغي[1].

---

(١) (قوة الأهداف اقتباسات إدارية للانتقال إلى مستويات أعلى في الحياة)، كاثرين كارفيلس، ص (١٥).

(٢) علم وظائف الأعضاء.

(٣) (آفاق بلا حدود)، د. محمد التكريتي، ص (٢٣٦ ـ ٢٣٨).

ورغم أن كل إنسان يمتلك القدرة على استخدام هذين النصفين معًا، إلا أن معظم الناس يستخدمون أحدهما دون الآخر.

وفي الوقت الحاضر نتيجة لتعقد الحياة المادية، وانشغال الناس بالدوران في طاحونة المشاكل اليومية؛ فإن الأكثرية يطغى عليهم استخدام النصف الأيسر من المخ، فيجد الواحد منا نفسه مشغولًا بالتفاصيل الصغيرة وبشئون المعيشة اليومية دون محاولة النظر التخيلي إلى الصورة الإجمالية لحياته مما يقع تحت وظائف النصف الأيمن، فلا يحاول الإنسان أن يبدع ويبتكر أهدافًا وطموحات عالية تزيد من فاعليته وإنجازاته، وتنتشله من واقعه الذي لا يرضى عنه.

وإذا كنت أخي المؤمن قد تفاعلت معنا في بداية الكتاب، وقمت بتلك التجربة التخيلية لنهاية حياتك، فإنك بذلك تعرف يقينًا أن بإمكانك استخدام هذه الطاقة الهائلة المعطلة والتي تسمى بالقدرة على التخيل والإبداع، والتي تكمن في نصف مخك الأيمن.

القيد الخامس: الجهل:

ونقصد به الجهل بكيفية تحديد الإنسان لأهدافه في الحياة، فبعض الناس قد يكون لديه الرغبة والحماس لتحديد أهدافهم، ولكنهم لا يعرفون الكيفية الصحيحة التي يتمكنون من خلالها أن

يقوموا بوضع أهداف لحياتهم.

وهو ما سنشرحه بالتفصيل- إن شاء الله- خلال هذه الحلقة من سلسلتنا المباركة، فنعدك أيها المؤمن أنك بمجرد قراءتك لهذا الكتاب وتفاعلك معه بجد وإتقان سوف تتمكن من أن تضع أفضل «سيناريو» ممكن لحياتك، وتبدأ في تحقيقه وأنت على ثقة تامة بإحراز النجاح، بعون الله وتوفيقه.

وعندها تكون قد ملكت السر العظيم للنجاح والفاعلية، كما يقول ليون يوريس: «**يجب أن يعرف الروائي ما الذي سوف يقوله في الفصل الأخير من روايته، وبطريقة أو بأخرى يُسيِّر الأحداث في هذا الاتجاه، وفي رأيي أن تصور ما ستئول إليه الأمور في النهاية هو أمر أساسي تمامًا، ولكن يبدو أن القدرة على ذلك سر عظيم**»[(١)].

القيد السادس: فتور الهمة وقصور الطموح:

فكثير من المسلمين تقعد بهم هممهم ويقصر طموحهم عن طلب معالي الأمور ومَثَلُهم في الحياة: «القناعة كنزٌ لا يفنى»!!

ومع اعتقادنا بأن الطمع والجشع خلقان ذميمان ولا شك، إلا

---

(١) (قوة الأهداف اقتباسات إدارية للانتقال إلى مستويات أعلى في الحياة)، كاثرين كارفيلس، ص (٧٣).

أن علو الهمة في طلب الكمال وقوة العزيمة في تحقيق الأهداف من أهم أخلاق المؤمن الصادق بل العاقل، كما يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله: «من أعمل فكره الصافي دله على طلب أشرف المقامات، ونهاه عن الرضا بالنقص في كل حال، وقد قال أبو الطيب المتنبي:

ولم أرَ في عيوب الناس عيبًا   كنقص القادرين على التمام

فينبغي للعاقل أن ينتهي إلى غاية ما يمكنه، فلو كان يتصور للآدمي صعود السموات لرأيت من أقبح النقائص رضاه بالأرض، ولو كانت النبوة تحصل بالاجتهاد رأيت المقصر في تحصيلها في حضيض.

غير أنه إذا لم يمكن ذلك فينبغي له أن يطلب الممكن. والسيرة الجميلة عند الحكماء خروج النفس إلى غاية كمالها الممكن لها في العلم والعمل»[1].

وقد دعانا الله تعالى إلى طلب الكمال ومعالي الأمور، فقال تعالى حاكيًا عن عباده المؤمنين دعاءهم: ﴿ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ

(١) (صيد الخاطر)، ابن الجوزي، ص (١٧٣، ١٧٤).

إِمَامًا ﴿٧٤﴾ ﴾ [الفرقان: ٧٤].

وقد امتلأ تاريخنا العظيم بقصص هؤلاء الرجال الذين كانت هممهم تناطح الجبال وطموحهم لا يرضى بدون الثريا.

فهذا هو الخليفة الراشد الخامس عمر بن عبد العزيز رحمه الله يحكي عن نفسه الطموحة فيقول: «إن لي نفسًا تواقة، وإنها لم تعطَ من الدنيا شيئًا إلا تاقت إلى ما هو أفضل منه، فلما أعطيت ما لا أفضل منه في الدنيا: الخلافة، تاقت إلى ما هو أفضل منه: الجنة»[(١)]، ويشرح لنا هذا الخليفة الراشد رؤيته أكثر فيقول: «إن لي نفسًا تواقة، تاقت إلى فاطمة بنت عبد الملك فتزوجتها، ثم تاقت نفسي إلى الخلافة فنلتها، ثم تاقت نفسي إلى الجنة».

وهذا القائد الداهية أبو مسلم الخراساني الذي أسقط دولة بني أمية ووطد أركان الدولة العباسية، كانت له طموحات عظيمة تدفعه إليها همته العالية، حتى إنه عندما كان صغيرًا كانت أمه تراه يتقلب على فراشه فتقول له: أي بني ما بك؟ فيقول: همة يا أمي تناطح الجبال.

ويقول عنه الإمام الذهبي رحمه الله: «الأمير صاحب الدعوة

---

(١) (عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين)، ص (٣٤).

- أي إلى خلافة بني العباس- وهازم جيوش الدولة الأموية والقائم بإنشاء الدولة العباسية، كان من أكبر الملوك في الإسلام.

كان ذا شأن عجيب ونبأ غريب، من رجل يذهب على حمار بإكافٍ[1] من الشام حتى يدخل خراسان، ثم يملك خراسان بعد تسعة أعوام، ويعود بكتائب أمثال الجبال ويقلب دولة ويقيم دولة أخرى.

تأتيه الفتوحات العظام فلا يظهر عليه أثر السرور، وتنزل به الفادحة الشديدة فلا يُرى مكتئبًا»[2].

فينبغي إذًا لكل مؤمن عاقل أن تكون له طموحات عالية وأهداف عظيمة تمكنه من تحقيق التفوق والنجاح في الدنيا إرضاءً لله تعالى، وتحقيقًا للخلافة في الأرض كما أمر الله تعالى، وحينما يضع أهدافه عليه أن يكون صاحب همة عالية لا ترضى بالدون؛ لأن (من يرمي بقوسه نحو القمر فحتى إذا لم يصبه سيقع سهمه بين النجوم)[3].

---

(١) أي: برذعة.

(٢) (سير أعلام النبلاء)، (٦/ ٤٨). وننبه هنا أنه رغم كون أبي مسلم الخراساني سفاكًا للدماء، إلا أن الذي يعنينا في هذا المقام هو علو همته.

(٣) (قوة الأهداف اقتباسات إدارية للانتقال إلى مستويات أعلى في الحياة)، كاثرين كارفيلس، ص (١٧) بتصرف.

القيد السابع: ضعف العزيمة:

فقد يضع الإنسان لنفسه أهدافًا عالية لكنه حينما يبدأ في العمل من أجل تنفيذها والوصول إليها يفاجأ بحجم الجهد الكبير الذي يتطلبه النجاح فلا يصبر وتنحل عزيمته، فيترك أهدافه ويقعد عن العمل، ومن ثم فلا يحاول أن يضع له أهدافًا مرة أخرى، حيث ارتبط وضع الأهداف في ذهنه بالمشقة والتعب.

صحيح أن طريق النجاح ليس مفروشًا بالورود والرياحين ويحتاج إلى تعب وبذل لإدراكه، لكن الإنسان حينما يذوق طعم النجاح تهون عليه كل لحظة تعب أمضاها في طريق النجاح، حتى يكون ذلك التعب أشهى إلى نفسه وألذ من طعم الراحة والدعة والسكون.

وهذه سنة الله تعالى أنه لا نجاح ولا إنجاز إلا بتعب وكفاح ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ولابد دون الشهد من إبر النحل.

وليتنا هنا نتعلم هذا الدرس العظيم من مخلوق صغير هو في حد ذاته آية من آيات الله عز وجل في الصبر والتجلد والجدية

وقوة العزيمة، إنها النملة.

تذكر الدراسات العلمية أن النملة عند بناء بيتها تتميز بالحرص وقوة العزيمة، فقد يسقط البيت وينهار فتعاود البناء مرة أخرى، ثم يسقط فتعاود البناء مرة ثانية وثالثة ورابعة، حتى يستقيم البيت.

وتأمل أيها المؤمن أية نملة تحاول أن تصعد على جدار مثلًا أو حجر أملس فتصعد وتسقط، ولكن هل تنصرف؟

كلا، بل تظل تصعد وتسقط وتحاول من هنا وتحاول من هناك، حتى إنها أحيانًا تكرر هذا أكثر من عشر مرات حتى تنجح وتصعد في النهاية، في وقت قد يصيب البعض منا الملل والسآمة من مجرد متابعة هذا المشهد، وقد ذكر المؤرخون هذه القصة العجيبة عن القائد تيمور لنك، فقد دخل هذا القائد المشهور معركة من المعارك هو وجنوده، ومع بداية المعركة هُزم جيشه وتفرق عنه، فما كان من تيمور لنك إلا أن هام على وجهه حزينًا كسيرًا كئيبًا لهذه الهزيمة المنكرة، ولكنه لم يرجع إلى بلده بل ذهب إلى مغارة في إحدى الجبال، وجلس فيها يتأمل حاله التي وصل إليها وجيشه الذي تفرق عنه.



وبينما هو مستغرق في تفكيره، إذ رأى نملة تريد أن تصعد على حجر أملس، وتسقط النملة لكنها تنطلق محاولة للمرة الثانية وتسقط وتحاول الثالثة وتسقط، فالرابعة، وهكذا، فشدته وانقطع تفكيره وبدأ بالتركيز مع النملة يعد محاولاتها للصعود حتى وصلت إلى ست عشرة مرة تصعد وتسقط وتبادر بالصعود من جديد، وفي المحاولة السابعة عشرة نجحت النملة في الصعود.

فقال: عجيب هذا الأمر.. نملة تكرر المحاولة سبع عشرة مرة ولا تيأس حتى تنجح، وأنا لأول مرة أنهزم أنا وجيشي!! ما أضعفنا وما أحقرنا؟!! فنزل من المغارة وقد صمم على أن يجمع فلول جيشه، وأن يدخل المعركة مرة أخرى، وأن لا ينهزم ما دام حيًّا، وكل هذا وصورة النملة لا تفارق مخيلته وتعيش في رأسه.

فجمع جنوده وتعاهدوا على الثبات والصبر في المعركة، وأن لا ينهزموا أبدًا ما داموا أحياء، فدخلوا المعركة بهذه النية وهذا التوجه والتصميم فانتصروا[1].

---

(١) محاضرة بعنوان (النملة)، د. ناصر العمر.

«فاربأ بنفسك أيها المؤمن أن تسبقك النملة، حدد أهدافك ووطِّن نفسك على الصبر وطول النفس، واعلم أن ثمن السيادة هجر الوسادة، وأن الراحة حيث تعب الكرام أودع ولكنها أوضع، والقعود حيث قام الكرام أسهل ولكنه أسفل»[1].

وكن حرًّا أبيًّا تعلنها في وجه البطالة والكسل:

بدأ المسيـــر إلى الهـدف	والحر في عزم زحف
والحــــر إن بــدأ المسير	فلن يكـلَّ ولن يقف

* * *

(١) محاضرات الأدباء، (١/ ٤٤٨).

القيد الثامن: التضخيم:

ونقصد بذلك أن يستكبر الإنسان الأهداف والإنجازات، ويظن أنها أكبر من أن يحققها؛ ما يشعره بالضعف والعجز أمام الأهداف، ومن ثم يقلع عن التفكير في وضعها.

ومثل هذا الإنسان لا يدرك سنة الله تبارك وتعالى في خلقه، وأنه سبحانه لا يضيع أجر من أحسن عملًا، وأن كل الإنجازات العظيمة التي حققتها البشرية بدأت بأحلام ظن الناس أنها من قبيل المستحيلات، ولكن مع جلد أصحابها وتحملهم وصبرهم حققوا ما حلموا به، والأمر لا يحتاج إلى كثير من العبقرية ليحقق الإنسان أهدافه، وإنما يحتاج فقط إلى تصميم وعزم وإرادة صادقة.



هل تعلم أن أديسون مخترع المصباح الكهربائي الذي سجل ١٠٩٣ براءة اختراع باسمه، لما سئل عن سر عبقريته أجاب بأنه ليس عبقريًّا على الإطلاق، بل كانت درجاته الدراسية منخفضة للغاية، ولكن السر في تفوقه ونبوغه أنه يملك ١٪ من العبقرية و٩٩٪ من العرق والبذل والجهد والتصميم.

أفلا نخبرك بمن هو أعظم منه؟ ما رأيك في إنسان وحيد في الأربعين من عمره والعالم بأكمله ضده، ومع ذلك يقيم دولة

الأربعين من عمره والعالم بأكمله ضده، ومع ذلك يقيم دولة تنتشر بين ربوع العالمين، وتغير وجه الكرة الأرضية إلى تاريخ الساعة، ويصنع أعظم أمة عرفها التاريخ؟

بالطبع عرفت من نقصد، إنه رسول الله ﷺ الذي تكفيه هذه المعجزة بيانًا على صدق رسالته:

هل تطلبون من المختار معجزة
يكفيه شعب من الأجداث أحياه

قد تقول: هذا رسول مؤيد من عند الله تعالى، وهذا صحيح، ولكن .. ما رأيك ثانية في شاب يبلغ العشرين من عمره تطارده دولة بأكملها، فيهرب منها وحيدًا طريدًا يعبر المحيط الأطلنطي بمفرده، ثم يقيم دولة بمفرده في بلاد غريبة عنه صارت بعد ذلك منبرًا للعلم والحضارة في كل ربوع الأرض، هل علمته؟

إنه عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك الملقب بصقر قريش.

وقد تقول ثالثة: إن هذا الشاب سليل الملك والخلافة وله قدرات متميزة اكتسبها من تربيته في بيت الخليفة الأموي هشام ابن عبد الملك الذي كان عهده عهد ازدهار الدولة الأموية، فكان

قصره مدرسة للتعلم من كل المهارات والفنون التي تعلمها منه عبد الرحمن.

ولكن هل تعلم نبأ محمد بن أبي عامر، وكان يعمل حمَّارًا «يحمل أمتعة الناس وأغراضهم من السوق إلى منازلهم» في قرطبة، وهذه المهنة من أدنى المهن، ذات ليلة كان يتحدث مع زميلين له في نفس المهنة فقال لهما: إذا أصبحت خليفة ماذا تطلبون مني؟ فسخرا منه، فأعاد عليهما السؤال مرة أخرى فقالا له: هل أنت مجنون؟ كيف يصبح حمَّارٌ خليفةً؟!

لكنه أصر على السؤال وقال: ماذا تريدان مني عندها؟ فقال له الأول: إذا صرتَ خليفة أريد قصرًا منيفًا وحدائق غناء وخيولًا أصيلة وجواري حسانًا و١٠٠ ألف دينار ذهبًا.

وقال الثاني: إذا أصبحتَ خليفة فأطلب منك أن تضعني على حمار ووجهي للخلف، ويمروا بي في الشوارع ويقولوا: دجال محتال؛ أي شخص يتعامل معه نضعه في السجن.

وحتى يحقق محمد بن أبي عامر حلمه بأن يكون خليفة اتجه للعمل بالشرطة، وأخذ يتدرج في مناصبها حتى أصبح رئيس شرطة قرطبة، ومات الخليفة وتولى ابنه المؤيد بالله الخلافة وكان

عمره ١٠ سنوات، فأصبح لزامًا عليهم أن يعينوا وصيًّا على الحكم حتى يدير البلاد إلى أن يكبر الخليفة.

واختلف بنو أمية حول شخصية الوصي، وخافوا إن هم عينوا شخصًا من بني أمية أن يطمع في الخلافة ويتمسك بها، فقرروا أن يعينوا مجلسًا للوصاية من خارج بني أمية مكوَّنًا من ثلاثة؛ هم: الوزير محمد المصحفي، وقائد الجيش محمد بن أبي غالب، ورئيس الشرطة محمد بن أبي عامر، واستطاع محمد بن أبي عامر أن يزيح الآخرَيْن وينفرد بالحكم.

ولأنه لا يستطيع أن يعلن نفسه أميرًا للمؤمنين؛ أطلق على نفسه الحاجب المنصور، وأصدر عدة قرارات، أولها: عدم دخول أي شخص على الخليفة إلا بإذنه، وثانيها: أن تنتقل دواوين الحكم إلى قصره، وثالثها: أن تنقل أموال الدولة عنده، ورابعها عدم استطاعة الخليفة الخروج من القصر إلا بإذنه.

واستطاع الحاجب المنصور أن يستولي على منصب الخليفة ويمد نفوذ الدولة الأندلسية ويفتح فتوحات غير عادية، حتى إنه وصل إلى ما لم يصل إليه أي خليفة أندلسي، فأزال دولة النصارى من شمال الأندلس وسيطر على شمال إفريقيا، وتوسعت دولة

الأندلس توسعًا كبيرًا، وبعد ثلاثين عامًا تذكر زميليه (الحَمَّارَيْن) وتذكر أمنياتهما وأرسل في طلبهما فأحضروهما له، وذكَّرهما بأمنياتهما عندما يصبح خليفة، وحقق لهما ما طلبا.

ونحن أيها المؤمن نهمس الآن في أذنيك: إذا كان هذا الحَمَّار قد استطاع أن يكون حاكمًا لدولة عظيمة، أفلا تستطيع أنت أن تحقق أهدافك إذا ما خلعت عنك ثوب العجز والتواني؟!

إن العبرة ليست بضخامة الأهداف أو صغرها، لكن العبرة بكبر النفس أو صغرها:

على قدر أهل العزم تأتي العزائم
وتأتي على قدر الكـــرام المكارم

وتعظم في عين الصغير صغارها
وتصغر في عين العظيم العظائم

القيد التاسع: المبالغة في طلب الكمال:

وإذا كان ضعف الطموح يقيد بعض الناس ويقعد بهم عن وضع أهدافهم؛ ففي مقابل أولئك نجد آخرين يشتط بهم الخيال إلى درجة تمني المستحيلات فعلًا، بأن يضعوا لأنفسهم أعلى الأهداف في كل المجالات، ثم يصابون بالإحباط إن لم يحققوها،

بل قد يصل الأمر إلى حد الشعور بالفشل حتى مع تحقيقهم نتائج جيدة ولكن دون طموحاتهم وأهدافهم الضخمة البعيدة المنال، ومن ثم فلا يعاودون الكَرَّة ولا يحاولون أن يضعوا لهم أهدافًا من جديد.

وإذا كنا قد طالبناك بوضع أهداف طموحة فإن هذا ينبغي ألا يصل بك إلى درجة الإكثار من الأماني والإصابة بالمثالية المفرطة التي لا تمت إلى الواقع بصلة.

ويُصدِّق ذلك مشهد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما حيث قال حاكيًا عن نفسه: «أُخبر رسول الله ﷺ أني أقول: لأقومن الليل ولأصومن النهار ما عشت. فقال رسول الله ﷺ: «**أنت الذي تقول ذلك؟**» فقلت له: قد قلته يا رسول الله.

فقال النبي ﷺ: «**فإنك لا تستطيع ذلك، فصم وأفطر، ونم وقم، وصم من الشهر ثلاثة أيام؛ فإن الحسنة بعشر أمثالها، وذلك مثل صيام الدهر**».

قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك. قال: «صم يومًا وأفطر يومين». قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك يا رسول الله.

قال: «صم يومًا وأفطر يومًا، وذلك صيام داود عليه السلام،

وهو أعدل الصيام».

قال: قلت: فإني أطيق أفضل من ذلك. فقال رسول الله ﷺ: «لا أفضل من ذلك».

قال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: لأن أكون قبلت الثلاثة أيام التي قال رسول الله ﷺ أحب إلي من أهلي ومالي»[١].

فينبغي إذًا أن تكون أهدافنا طموحة لكنها واقعية حتى يمكننا تحقيقها كلها أو على الأقل أكثرها، وسوف يأتي مزيد بيان لهذه النقطة عند الحديث عن صفات الهدف الفعال بإذن الله تعالى.

القيد العاشر: البيئة السلبية:

يقول النبي ﷺ: «**كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه**»[٢].

فللبيئة أثر بالغ على شخصية الإنسان ولا شك، ولابد أن نعترف هنا بأن البيئة السائدة في مجتمعاتنا الإسلامية اليوم بيئة

---

(١) رواه مسلم، كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن به تضرر أو فوَّت به حقًا، رقم: ١٩٦٢.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه؟ رقم: ١٢٧٠. ومسلم، كتاب القدر، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم: ٤٨٠٣.

سلبية في الأعم الأغلب.

فالواحد منا يشب غالبًا على الارتجال والفوضوية والنظرة الآنية للأمور، يتعلم هذا في البيت والمدرسة أو العمل، يتعلم أن يقوم بالعمل ولا يدري ما هو فيه، ولا يجد من يعينه على زرع هدف له في الحياة في نفسه منذ الصغر، ومن ثم يشب على ذلك، يدرس في مدرسته أو كليته مواد كثيرة لا يدري هدفًا لها، ولا يرى تطبيقًا لها في حياته العملية.

حتى إن المهندس على سبيل المثال يتخرج في كليته، ويبدأ في الواقع العملي ليفاجأ بأن ما درسه عبر خمس سنوات كاملة لا يمت للواقع بصلة، وهذه الظاهرة ولا شك ثمرة حنظل مرة لانحراف مجتمعاتنا عن الفهم والتطبيق الصحيحين لشريعة الإسلام.

والتأمل في كتاب الله تعالى وحده كفيل بأن يقنعك أن ربط كل شيء بالهدف منه؛ مَعْلم أساس من معالم شريعة الإسلام التي جاءت لتكون منهج حياة.

تأمل مثلًا في قوله تعالى: ﴿ وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل: ١٦]

تأمل كيف يربط الله النجم بفائدته لنا؟ وغيرها من الآيات الكثيرة.

ومع اعترافنا بعميق تأثير البيئة على شخصية الإنسان وأنها عامل أساس في تكوين عاداته وسلوكياته؛ إلا أنها لا ينبغي أن تقف سدًّا منيعًا أمام تغيير الإنسان لنفسه وتنفيذ ما يراه صحيحًا، والعادات قابلة للتغيير بشيء من الجهد والمران، ولا يعقل أن يترك الإنسان العاقل نفسه ليعيش بقية حياته أسيرًا لعادات سلبية أورثته إياها بيئته ولا يحاول أن يكسر هذه القيود.

ونبشرك أيها المؤمن أن تفاعلك معنا عبر هذا الكتاب كفيل بإذن الله تعالى- تحقيقًا لا تعليقًا- أن يفك أسرك من قيود البيئة السلبية.



(٤) حدد أهدافك تربح حياتك

«الأهداف ليست فقط ضرورية لتحفيزنا
ولكنها أيضًا شيء أساسي يبقينا أحياء»

روبرت . إتش . شولر

أيها المؤمن، هذه بعض الأرباح العظيمة التي تحوزها إذا قمت بتحديد أهدافك:

(١) تناغم مع الكون وإلاّ .. اكتئب:

تأمل في الكون من حولك، انظر إلى مخلوقات الله تعالى: الشمس، القمر، النجوم، كل هذه الإبداعات الإلهية إنما يحكمها ناموس رباني واحد، فكل منها خلق لمهمة وهدف واضح ومحدد يسعى إلى تحقيقه بأمر من خالقه الحكيم.

يقول تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴾ [يس:٣٨]، ﴿ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴾[يس: ٣٩]، والنجوم ﴿ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [النحل:١٦]

وهكذا سائر المخلوقات، كل يسعى إلى هدفه الواضح المحدد، إلا كسالى بني الإنسان.

فاربأ بنفسك أيها المؤمن أن تشذ عن هذا الكون، بأن تعيش في هذه الحياة وأنت ابن يومك، لا تحدد هدفك، ولا تملك رسالة أو رؤية واضحة لحياتك، عندها تحس بالغربة والوحشة، ثم تصاب بالاكتئاب وأنت ترى الناجحين يحققون الآمال والإنجازات وأنت لا تزال تراوح مكانك.

(٢) كن إنسانًا:

ائذن لي أن أقص عليك قصة: كثير من الناس حياته تتلخص في أنه وِلِد ثم نشأ في بيت والديه ودخل المدرسة، فلما أنهى دراسته الثانوية قالوا له: مجموعك يدخلك الكلية الفلانية. فدخلها، فلما تخرج فيها؛ قالوا له: إن تقديرك هذا يتيح لك العمل في الوظيفة الفلانية؛ فتقدم إليها وحصل عليها فعلًا.

فلما استقر في عمله قالوا له: آن لك اليوم أن تتزوج وهذه فلانة زوجة مناسبة لك. فتزوجها وأنجب منها أولادًا كرر معهم نفس قصته، إلى أن رقد على فراش الموت ومات ثم دفن، وبقي أولاده ليعيشوا نفس القصة!!

أيها المؤمن: أليست هذه القصة تعبر عن واقع أكثر المسلمين اليوم؟! وإن المرء ليتساءل: ما الفرق بين صاحب هذه القصة وبين باقي الكائنات الحية من غير بني البشر؟ أليست هذه قصة جميع الأنعام؟ ولد- كبر- تزوج- أنجب- مات!!

إن الفرق الأساسي بين الإنسان وغيره من الكائنات الحية أنه وحده الذي يمتلك القدرة على وضع الأهداف وتحقيقها، فإذا لم يحدد الإنسان هدفه في الحياة؛ فإنه لا يستحق إنسانيته بعد أن أضاع حياته في أكل وشرب ونوم.

يقول تعالى: ﴿ .. وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوًى لَّهُمۡ ﴾[محمد: ١٢].

أما الإنسان حقًّا فهو الذي يعطي لحياته قيمة، ومعنًى بتحديد رسالته وأهدافه فيها؛ فإن الحياة معناها أن تكون لدينا رسالة نؤديها، وفي محاولتنا لتجنب تحديد هدف لحياتنا، فإننا نفرغها من معناها.



(٣) مفتاح النهضة:

في مناهج الدراسة الغربية للمرحلة الابتدائية، توجد حصة أسبوعية للأطفال تسمى حصة: الهدف، وفيها يعلِّم المدرسون تلاميذهم الإجابة على هذا السؤال: ما هو هدفك في الحياة؟ يتكرر هذا السؤال كل أسبوع.

في البداية لا يستطيع الأطفال فهمه بدقة، ويعجزون عن الإجابة عليه، ولكن مع الوقت يضطر الطفل تحت إلحاح معلمه أن يجيب عليه، فيقول مثلًا: أريد أن أصبح أشهر طبيب لأمراض القلب، أو أشهر مهندس كمبيوتر.

وبعد ذلك تأتي مرحلة اكتشاف ميول ومهارات الولد ومدى توافقها مع هدفه، حتى يصلوا في النهاية إلى تحديد هدف واضح محدد لكل طفل يتوافق مع ميوله وقدراته واستعداداته.

ويتطور السؤال الأسبوعي بعد ذلك إلى أن يصبح: ماذا فعلت لتحقق هدفك خلال هذا الأسبوع؟

وهكذا يتم توجيه الطفل إلى خطوات عملية بسيطة يتقدم خلالها إلى هدفه، والأهم من ذلك يكبر الهدف مع الطفل ويصير حلمه في الحياة أن يحقق هذا الهدف.

وحتى في الإجازة الصيفية ترسل المدرسة إلى أسرة الطفل: إن ابنكم قد اختار هدف كذا وكذا، ومطلوب منكم أن تحاولوا إكسابه المهارات الفلانية خلال الإجازة، وأن تحاسبوه دومًا على مدى تقدمه نحو هدفه.

فإذا جاء الموسم الدراسي، تتواصل المتابعة مرة أخرى، وهكذا حتى ينمو الطفل وقد امتلأ كيانه كله بالهدف، فلا يأتي عليه عام التخرج إلا وقد أصبحت لديه كل المهارات والقدرات المطلوبة لإنجاز هدفه، فيصبح تحقيقه لحلمه- والذي يصب في نهضة أمته- تحصيل حاصل[(١)].

وإذا عرفنا ذلك، فإننا لا نتعجب إذًا من هذه الأرقام والإحصائيات[(٢)] المخيفة التي جاءت في تقرير الأمم المتحدة للتنمية في العالم العربي في التسعينيات.

(١) **الأمية:** ٤٥٪ من الوطن العربي، ٥,١٪ في الغرب، مع العلم بأن كندا مثلًا محت أمية الكمبيوتر.

---

(١) برنامج (صناع الحياة) الأستاذ الداعية عمرو خالد.

(٢) الأرقام مستقاة من تقرير التنمية البشرية الصادر عن الأمم المتحدة لعام ٢٠٠٣م.

(٢) دخل الفرد:

م	الدولة	دخل الفرد السنوي
١	بنجلاديش	١٧٠ دولارًا
٢	الصومال	١٩٠ دولارًا
٣	أفغانستان	٣٠٠ دولار
٤	بريطانيا	١٢٠٠٠دولار
٥	الولايات المتحدة	١٣٠٠٠دولار
٦	السويد	١٤٠٠٠دولار
٧	اليابان	١٥٠٠٠دولار

يحدث هذا في أمة يقول نبيها ﷺ: **«اللهم إني أعوذ بك من الكفر والفقر»**[1].

---

(١) رواه النسائي، كتاب السهو، باب التعوذ في دبر الصلاة، رقم: ١٣٣٠، وكتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الفقر، رقم: ٥٣٧٠. وأبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح، رقم: ٤٤٢٦. وأحمد في مسنده، رقم: ١٩٥١٤، ١٩٤٨٧، ١٩٥٣٣. وهو في صحيح سنن النسائي للألباني، رقم: ٥٠٤٨.

(٣) عدد طلبات تسجيل براءات الاختراع: في بلدان عربية وغير عربية لكل مليون من السكان:

م	الدولة	العدد
١	إنجلترا	٢٤٩٥
٢	فنلندا	٢١٠٤٥
٣	مصر	١٧,٨
٤	الأردن	١٥
٥	المغرب	١٠,٩
٦	عُمان	٥
٧	تونس	١٨,٣
٨	السعودية	٥٢
٩	كوريا	١٦٣٢٨
١٠	«إسرائيل»	٥٠٧٥
١١	تشيلي	١٥٧
١٢	الجزائر	٧,٩
١٣	النمسا	١٣٧٣١
١٤	بلجيكا	٨٤٩٤

(٤) عدد العلماء والمهندسين العاملين بالبحث والتطوير

(لكل مليون من السكان):

م	الدولة	عدد العاملين بالبحث والتطوير
١	أمريكا الشمالية	٤٠٠٠
٢	أوروبا	٢٤٠٠
٣	شرق وجنوب آسيا	٥٠٠
٤	البلدان العربية	٣٠٠

(٥) عدد النسخ من الصحف اليومية لكل ألف من السكان:

في الدول العربية ومناطق أخرى من العالم:

م	الدولة	عدد الصحف اليومية
١	الدول منخفضة الدخل	٤٠ صحيفة
٢	الدول العربية	٥٣ صحيفة
٣	الدول عالية الدخل	٢٨٥ صحيفة

مع العلم بأن ٧٠٪ من الصحف العربية مخصصة للمجالات الترفيهية.

(٦) عدد الإصدارات والكتب المؤلفة والمترجمة لكل مليون من السكان:

م	الدولة	عدد الإصدارات
١	أوروبا	٥٦٠ إصدارًا
٢	أمريكا الشمالية	٣٤٠ إصدارًا
٣	الوطن العربي	٣٠ إصدارًا
٤	إجمالي الكتب العربية سنة ١٩٩٥	١٣٤٨ كتابًا
٥	إجمالي الكتب في «إسرائيل» لنفس السنة	٣٢٨٤ كتابًا

يمثل الوطن العربي ١,١٪ من إجمالي الإنتاج العالمي في الإصدارات والكتب المؤلفة والمترجمة، مع أن العرب يمثلون ٥٪ من سكان العالم.

(٧) توافر أجهزة الكمبيوتر الشخصية وعدد مستخدمي الإنترنت لكل ألف من السكان:

م	الدول	حاسب / ألف	مستخدم / ألف
١	العالم العربي	٥٠	٢٠
٢	العالم الغربي	٤٠٠	٢٥٠

مع العلم بأن ٦٠٪ من مستخدمي الإنترنت في العالم العربي يستخدمونه في الدخول على المواقع الإباحية!!

أما في الغرب فإن ١٥٪ فقط من مستخدمي الإنترنت يستخدمونه في الدخول على المواقع الإباحية، وينحصر الدخول عليها في الويك إند فقط (الإجازة الأسبوعية).

أيها المؤمن هل أصابك الدوار من هذه الأرقام الرهيبة، هل أدركت أن أمتنا أصبحت الآن عالة على بقية الأمم، فلتعلم إذن أن مفتاح نهضة هذه الأمة يبدأ بأن تضع لك أهدافًا محددة في هذه الحياة، أنت وغيرك من المؤمنين، وعندها تكون أمتنا قد خطت أول خطوة جادة نحو تحقيق النهضة.

(٤) امتلاك البوصلة:

هل تعرف ما هي البوصلة؟ إنها ذلك الاختراع البسيط الذي يتكون من إبرة مغناطيسية تشير دومًا نحو اتجاه الشمال، يستخدمها المسافر في الصحراء أو القبطان على سفينته لتحديد الاتجاه الصحيح للسير.

إن الأهداف في الحياة هي بمثابة البوصلة الذاتية لكل إنسان، فهي التي تحدد له الاتجاه الذي ينبغي عليه أن يسلكه في هذه الحياة، وتشكل له إطارًا مرجعيًّا يستطيع أن يرجع إليه ليتخذ كافة قراراته.

أما الذي لا يملك أهدافًا فإنه يخبط في حياته خبط عشواء، لا يدري أي الطرق يسلك، وإذا كنت قد قرأت قصة لويس كارول «**أليس في بلاد العجائب**» فربما تتذكر معنا ذلك الحوار المعبِّر الذي دار بين تلك الفتاة "أليس" والقط الحكيم "تشيتشاير"، والذي يعبر عن هذا المعنى العام الذي نتحدث عنه، عندما تسأل "أليس" القط "تشيتشاير" عن الطريق.

فتقول: من فضلك هل لي أن أعرف أي طريق أسلك؟

يرد القط: يتوقف هذا إلى حد بعيد على المكان الذي تريدين الذهاب إليه.

تقول أليس: إنني لا أعبأ كثيرًا بالمكان.

يرد القط: إذًا فلا تهتمي كثيرًا أي الطرق تسلكين.

تضيف أليس متسائلة: طالما أصل إلى أي مكان؟

يرد القط: نعم، نعم، ستصلين بالتأكيد إلى مكان ما، بشرط أن تسيري كفاية.

أيها المؤمن: (لا يحتاج الوصول إلى أي مكان إلى أي جهد يذكر، لا تفعل أي شيء وسوف تصل بعد دقيقة واحدة، على أي حال، إذا كنت تريد الوصول إلى مكان ذي معنى فعليك أولًا أن تعرف أين تريد الذهاب)[1].

وهكذا، إذا أردت أن تتخذ أي قرار في حياتك، مثل: في أي كلية تدرس؟ أي رياضة تمارس؟ أي مستوى مادي ينبغي أن تحصله؟ أي عمل تلتحق به؟ فعليك أولًا أن تحدد بوصلتك الذاتية، أي أهدافك التي سوف تسترشد بموجبها في جميع قرارات حياتك، وإلا وقعت في دوامة من الفوضى والتخبط لا تنتهي إلا يوم وفاتك، وساعتها ستكتشف مقدار الخسران الذي طالك في حياتك.

---

(١) (الإدارة للمبتدئين)، ص (١٥٦).

(٥) إدارة الوقت:

إن تحديد الهدف وإدارة الوقت متلازمان تمامًا، فلا يمكن أن تحقق واحدًا دون الآخر؛ فالشخص الذي حدد أهدافه في الحياة هو الشخص الوحيد القادر على إدارة وقته بكفاءة واقتدار، بحيث يحقق أقصى استفادة منه.

فإدارة الوقت لا تعني استغلاله وفقط، إنما تعني الاستفادة القصوى من الوقت في تحقيق أكبر قدر ممكن من الأهداف، فليس **المهم أن تتقدم بسرعة، بل المهم أن يكون تقدمك في الاتجاه الصحيح.**

(فلا يكفي أن ننشغل، السؤال هو: ما الذي يشغلنا؟)[1] فتحديد أهدافنا هو الذي يمكّننا من ترتيب أولوياتنا، بحيث نستطيع توزيع ما نملك من وقت على الأنشطة اليومية التي تصب في تحقيق هذه الأهداف تبعًا لأهميتها بالنسبة لنا، أما الذي لا يملك أهدافًا واضحة في حياته فإن وقته يضيع سدى حتى لو كان يصرفه في أنشطة نافعة مفيدة لأنها لا تعمل في اتجاه أهداف محددة، وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: «**ليس العاقل من يعرف**

---

(١) (قوة الأهداف اقتباسات إدارية للانتقال إلى مستويات أعلى في الحياة)، كاثرين كارفيلس، ص (٥٣).

الخير من الشر، إنما العاقل من يعرف خير الخيرين وشر الشرين»[1].

(٦) الثقة بالنفس:

إن تحديدك لأهدافك وسعيك إلى تحقيقها، سوف يعطيك الشعور بأنك تتحكم في حياتك بإذن الله، فأنت الذي تقرر ماذا تريد وفي أي اتجاه تسلك، لا تترك ذلك للظروف وللآخرين يختارون لك حياتك؛ ما سيمنحك شعورًا عارمًا بالثقة بالنفس والإحساس بالقوة التي أنعم الله بها عليك.

فإن (تركيز كل طاقاتك على مجموعة محددة من الأهداف هو الشيء الذي يستطيع- أكثر من أي شيء آخر- أن يضيف قوة إلى حياتك)[2]، وتزداد هذه الثقة عندما ترى نفسك وقد اقتربت يومًا بعد يوم من تحقيق أهدافك، وعندها لن يمنعك شيء من بلوغ آمالك، وستجد في نفسك القوة على مواجهة أية عقبة تحول بينك وبينها.

---

(١) (مجموع الفتاوى) شيخ الإسلام (٥/ ٤٨).
(٢) (قوة الأهداف اقتباسات إدارية للانتقال إلى مستويات أعلى في الحياة)، كاثرين كارفيلس، ص (٦٣).

(٧) الإحساس بالسعادة:

إذا قمت بوضع أهدافك بصورة واضحة ومحددة، فإنك ستصبح أكثر تركيزًا عليها؛ ما يحدو بك ولابد إلى مزيد من النجاح والإنجاز فتتحسن حياتك، وتصير أكثر طاقة ودافعية، وفي هذا وصول إلى درجة عالية من السعادة، فلا توجد سعادة إلا في إدراك أننا قد أنجزنا شيئًا ما، وتكون هذه السعادة دائمة ومستمرة إذا ارتبطت هذه الأهداف التي حددتها لنفسك بمرضاة الله عز وجل؛ إذ إنها تكون في هذه الحالة سببًا للسعادة، ليس فقط في الدنيا، وإنما أيضًا في الآخرة، وذلك هو الفوز العظيم.

يقول الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[النحل: ٩٧].

وهكذا نجد أن الإنسان الوحيد الذي يستطيع أن يسعد سعادة حقيقية في الدنيا والآخرة هو المؤمن الناجح الفعال، صاحب الأهداف الواضحة، والفاعلية العالية، والذي نرجو أن يوفقنا الله تعالى إلى المساهمة في بنائه من خلال هذه السلسلة المباركة.

والآن هل علمت أخي المؤمن ما أغلى ثروة في حياتك؟ إنك

بتحديدك لأهدافك تربح ثروة لا تساويها مليارات الأرض كلها؛ لأنك تربح بذلك حياتك نفسها، وهي لا تقدر بثمن، فإن (الثروة الوحيدة التي تستحق أن تجدها هي أن يكون لك هدف في الحياة)[1]، وبذلك تخرج من دائرة الفقراء (فليس الفقير هو من لا يملك مالًا، ولكن الفقير هو من لا يملك حلمًا)[2].



(١) (قوة الأهداف اقتباسات إدارية للانتقال إلى مستويات أعلى في الحياة)، كاثرين كارفيلس، ص (٦٩).

(٢) المرجع السابق، ص (٦٧).



(١) الفاعلية: تحقيق التوازن بين الإنتاج والقدرة على الإنتاج.

(٢) لابد لكي تكون فعالًا أن يكون لديك تصور واضح تفصيلي عن حياتك المستقبلية.

(٣) هناك عشرة قيود تمنع الإنسان من تحديد أهدافه:

١- الخوف من الفشل.

٢- احتقار الذات.

٣- الاعتقاد الخاطئ بعدم أهمية تحديد الأهداف .

٤- تعطيل النصف الأيمن من المخ.

٥- الجهل بكيفية تحديد الأهداف.

٦- فتور الهمة وقصور الطموح.

٧- ضعف العزيمة.

٨- البيئة السلبية.

٩- التضخيم .

١٠- المبالغة في طلب الكمال.

(٤) هناك أرباح عظيمة تجنيها من وراء تحديد أهدافك:

١- الانسجام مع الكون والنجاة من الفشل والاكتئاب.

٢- أن تكون إنسانًا يستحق آدميته.

٣- المشاركة في نهضة أمتك.

٤- امتلاك البوصلة أو الإطار المرجعي الذي يرشدك في جميع خطوات حياتك.

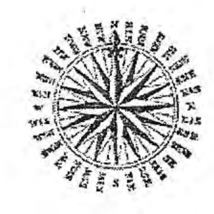
٥- التمكن من إدارة وقتك بكفاءة واقتدار.

٦- اكتساب الثقة بالنفس.

٧- الإحساس بالسعادة في الدنيا والآخرة.



تحديد البوصلة الذاتية



«يصبح للحياة معنى فقط عندما يحياها الإنسان يومًا بعد يوم من أجل شيء آخر بخلاف الحياة نفسها»

أنطوان دي سانت أكسيبري

أيها المؤمن: لعلك الآن قد تخلصت من تلك القيود التي تحول بينك وبين تحديد هدفك، وكلك رغبة في جني هذه الثمرات الزكية التي يحوزها من يوفقه الله تعالى إلى التحديد الصحيح لأهدافه في الحياة، وحان الوقت الآن لتعلم ماذا نقصد تحديدًا بعملية وضع الأهداف؟

إن هذا التغيير الذي وعدناك بإحداثه في حياتك، وهذه الثمرات اليانعة التي رغبناك في السعي لنيلها بتحديد أهدافك، لا يتحقق كل منها بمجرد وضع بعض الأهداف الجزئية لجوانب حياتك المختلفة، وليس هذا ما نعنيه من تلك العملية.

وإنما نعني بعملية وضع أهداف الحياة أن نضع تصورًا كليًّا شاملًا لجميع جوانب حياتك في تكامل وتناسق، وكأننا نرسم

لوحة فنية رائعة متناسقة الألوان، أو كأننا نكتب "سيناريو" محكمًا لقصة سعيدة.

إن هذا وحده هو الكفيل بتحقيق تلك الوعود البراقة التي وعدناك بها، إن أنت تفاعلت معنا وطبقت ما في هذا الكتاب، ولكي نتمكن من رسم تلك اللوحة أو كتابة ذاك «السيناريو» فلابد أن نقوم معًا بصياغة ثلاثة أجزاء تقوم عليها فاعلية الإنسان ونجاحه في الحياة:

(١) الرسالة (٢) الرؤية (٣) الأهداف

فما هو الفرق بين هذه الكلمات الثلاث؟ وما هي العلاقة بينها؟ وكيف تتكامل معًا لتصنع «سيناريو» حياتك لتملأه بالإنجاز والفاعلية؟

ما هي الرسالة؟

هي المهمة الكبرى أو الدور الأكبر الذي يعيش الإنسان من أجل تحقيقه في الحياة، أو في كلمة واحدة: [الرسالة = الحلم الحقيقي].

ما هي الرؤية؟

هي أقصى صورة واقعية يمكن من خلالها تحقيق الرسالة على أكمل وجه، أو في كلمة واحدة: [الرؤية = الطموح].

فالرؤية صورة يرسمها المرء لنفسه بعد عشر سنوات مثلًا.

والجدول الآتي[1] يوضح الفرق بين كل من الرسالة والرؤية:

الرسالة	الرؤية
• غير محددة بهدف. مثال: «رسالتي أن أعلم الناس».	• مقصد وهدف تصل إليه. مثال: «رؤيتي أن أكون مديرًا»
• شيء لا ينتهي، فأنت تعلم الناس حياتك كلها.	• شيء محدد ويجب أن ينتهي، فبعد أن تكون مديرًا تكون قد أنهيت مهمتك.
• اتجاه ليس له حسبة.	• نتيجة تقاس وتحسب.
• غاية.	• وسيلة.
• نوعية.	• كمية.

(١) (كيف تخطط لحياتك)، د. صلاح صالح الراشد، بتصرف، ص (١٤).



ما هي الأهداف؟

هي النتائج الواقعية التي يريد الإنسان تحقيقها.

وهي تشمل ثلاثة أنواع من الأهداف:

(١) أهداف قصيرة الأجل:

وهي الأهداف التي يحققها الإنسان في فترة قصيرة تتراوح في الغالب من يوم إلى سنة؛ ومثالها: الحصول على دورة تدريبية لمدة شهر في برنامج Windows xp.

(٢) أهداف متوسطة الأجل:

وهي الأهداف التي يحققها الإنسان في فترة متوسطة تتراوح في الغالب من سنة إلى خمس سنوات؛ ومثالها: الحصول على "دبلومة" في إدارة الأعمال.

(٣) أهداف طويلة الأجل أو استراتيجية:

وهي الأهداف التي يحققها الإنسان في فترة طويلة تتراوح في الغالب من خمس سنوات إلى خمس وعشرين سنة أو أكثر؛ ومثالها: الحصول على درجة الدكتوراه في علوم القرآن.

وتطلق كلمة الرؤية غالبًا على الأهداف طويلة الأجل، وقد تشمل أيضًا بقية أنواع الأهداف.

التكامل بين الرسالة والرؤية

السعادة نتاج الرسالة النبيلة، والنجاح نتاج الرؤية الصحيحة.

والسر في هذا أن سبب السعادة إنما يكمن في إحساس الإنسان أنه يعيش من أجل هدف سام وغاية نبيلة، ولذلك فالمؤمن هو أسعد الناس قلبًا في الدنيا والآخرة، إذ إنه يعيش من أجل أعظم غاية يمكن أن يحيا من أجلها البشر، ألا وهي تحقيق عبودية الله تعالى في الأرض.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿ فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴾ [طه: ١٢٣]، وقال أيضًا: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨]، وقال سبحانه: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾ [النحل: ٩٧].

ويصدِّق الرسول ﷺ ذلك المعنى فيقول: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا»[1].

---

(١) رواه مسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من رضي بالله ربًّا وبالإسلام...، رقم: ٤٩.

بل وحتى عقلاء الغرب توصلوا إلى هذه الحقيقة، فها هو جون ماسون براون يقول: (السعادة الحقيقية الوحيدة هي أن نفني أنفسنا من أجل تحقيق غاية عظيمة في الحياة)[1].

ومثله العالمة المشهورة هيلين كيلر حين تقول: «**كثيرون لديهم فكرة خاطئة عن الشيء الذي يشكل السعادة الحقيقية، إن السعادة لا تتحقق عن طريق إمتاع المرء لذاته أو إشباعه لرغباته، وإنما عن طريق إخلاصه لهدف قيم**»[2].

فهذا إذن هو سر ارتباط السعادة بالرسالة.

وأما ارتباط الرؤية بالنجاح فلأن هذه سنة الله- سبحانه وتعالى- في خلقه؛ أنه لا إنجاز ولا نجاح بدون تخطيط وأخذ بالأسباب، وهذا يجري على جميع الأمور والإنجازات صغيرها وكبيرها؛ لأنها سنة الله الجارية التي يتحقق من خلالها قدر الله في الأرض.

فصاحب الأرض الزراعية على سبيل المثال لابد لكي ينجح

---

(١) (قوة الأهداف اقتباسات إدارية للانتقال إلى مستويات أعلى في الحياة)، كاثرين كارفيلس، ص (١٥).

(٢) المرجع السابق، ص (١٩).

في الحصول على إنتاج زراعي جيد من أرضه، أن تكون لديه رؤية واضحة لزراعة الأرض، كيف يزرعها؟ كيف ينزع الحشائش الضارة أولًا، ثم يحرث الأرض، ثم يبذر البذور ويتعاهدها بالرعاية والسقي، وكيف يمدها بالسماد والمبيدات الحشرية حتى يقيها شر الآفات؟ وكم ينتظر حتى يحصد المحصول؟ فإن حدث خلل في هذه الرؤية فإنه لابد أن يفشل، وقس على ذلك في جميع أمور الحياة.

إذن فلكي تعيش سعيدًا وناجحًا في هذه الدنيا ثم تواصل السعادة والنجاح في الآخرة فلابد أن تملك رسالة سامية تعيش من أجلها ورؤية واضحة تحقق من خلالها هذه الرسالة، ولابد أن تشتمل هذه الرؤية على أهدافك التفصيلية، سواء أكانت طويلة الأجل أم متوسطة الأجل أم قصيرة الأجل.



النبي ﷺ وتكامل الرسالة والرؤية

وباستقراء الكتاب والسنة، واستعراض سيرة النبي ﷺ نستطيع أن نتبين ذلك التكامل الفذ بين الرسالة السامية والرؤية الواضحة.

الرسالة:

ذكرها الله تبارك وتعالى في آيات كثيرة:

- ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].
- ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].
- ﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ﴾ [المائدة: ٦٧].

ثم هو نفسه ﷺ يترجم لنا جانبًا مهمًّا ومَعْلَمًا أصيلًا من معالم هذه الرسالة فيقول: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»[١].

الرؤية:

تمثلت رؤيته ﷺ في الهدف الاستراتيجي البعيد، ألا وهو

---

(١) رواه أحمد في مسنده، برقم: ٨٥٩٥. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٢٣٤٩.

ـلمين في شبه الجزيرة العربية لتكون منطلقًا بعد
سلام في الأرض كلها، وفي أقل من خمس وعشرين
ف الأساسي الأهم في هذه الرؤية ألا وهو فتح مكة
دها دخل الناس في دين الله أفواجًا، ودانت الجزيرة
راية الإسلام.

من خلال سيرة النبي ﷺ أن نحدد تفاصيل هذه
داف المرحلية الآتية:

ة القاعدة الصلبة للدولة المسلمة: وذلك بتربية جيل
لنبي ﷺ تتمثل فيه الفكرة الإسلامية تمثلًا كاملًا،
المنهج الإسلامي إلى نفوس حية تكون نماذج فذة
وقد استغرق تحقيق هذا الهدف المرحلي الفترة المكية
ل ثلاث عشرة سنة.

سيع القاعدة وإقامة المجتمع المسلم: وذلك بتحول
ة التي كانت تمثل القاعدة الصلبة إلى مجتمع صغير
الإسلام الناشئة في المدينة، وانضمام عدد كبير من

بالأنصار، واستغرق تحقيق هذا الهدف ٩ أو ١٠ سنوات بدءًا من هجرة النبي ﷺ وحتى فتح مكة.

(٣) توسيع الدولة المسلمة وبداية تكوين دولة شبه الجزيرة العربية: وقد كان هذا بحمد الله وتوفيقه بعد أن فتح الرسول ﷺ وصحبه الكرام مكة المكرمة سنة ٨ هـ، ودخل بعدها الناس في دين الله أفواجًا.

قال تعالى: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ۝٣ ﴾ [سورة النصر].

إلى أن وافاه ﷺ الأجل بعد أن أتم الله عليه النعمة وتحققت رؤيته، وبلغت رسالته تمامها، فعليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

فانظر إلى ذلك التكامل العجيب بين سمو الرسالة ووضوح الرؤية، فلا عجب إذن أن تتحقق على يد الرسول ﷺ وصحبه الكرام هذه المعجزة التي لم تشهد لها البشرية مثيلًا من قبل، فما عرف التاريخ دولة بهذا الحجم، وتلك القوة أقيمت في أقل من ربع قرن، ثم كان لها ذلك التأثير المتفرد على خريطة الكرة الأرضية بكاملها، والذي ما زالت آثاره باقية إلى الآن، ولذلك لم

يملك الكاتب الأمريكي مايكل هارت إلا أن يضع محمدًا ﷺ على رأس أعظم الشخصيات تأثيرًا في العالم، في كتابه الذي سماه (المائة شخصية الأكثر تأثيرًا في العالم) .

❊ ❊ ❊

اكتشف بوصلتك الخاصة

«سوف تصبح رؤيتك واضحة فقط عندما تمعن النظر في أعماق ذاتك
فمن ينظرون خارج حدود ذاتهم يحلمون، أما من ينظرون داخلها
فيستيقظون لتحقيق الحلم»

كارل جوستاف يونج

أيها المؤمن كأني أسمعك الآن تقول: وماذا بعد؟ صف لي الطريق، كيف أضع رسالتي في الحياة كخطوة أولى على درب الفاعلية؟ وها أنذا أخاطبك فأقول:

لكي تتمكن من وضع رسالتك العامة في الحياة لابد أولًا أن تقوِّم وضعك الحالي، بمعنى أن تكتشف البوصلة الخاصة بك، وأن تعرف رسالتك الحالية التي تنبع منها جميع قراراتك وتصرفاتك والتي تشكل الدافع الحقيقي وراء غالب أعمالك، فلكل منا مركز اهتمام في هذه الحياة تدور حوله جميع أفعاله وتحركاته، وتنبني عليه آماله، فعليك أن تكتشف هذا المركز أولًا، ومن ثم تعمل على تقويمه لتنظر هل هذا المركز يستحق فعلًا أن يكون محور حياتك، وأن يكون مصدرًا تنبع منه رسالتك؟!

هذه الخطوة ضرورية للغاية؛ لأن أي تغيير حقيقي لكي

يحدث في حياة الإنسان ويتم؛ لا بد أن يبدأ بتقويم واقعه الحاضر حتى نستطيع أن نحدد بدقة حجم المجهود والوقت الذي يتطلبه قطع المسافة بين الواقع وبين الهدف المنشود، ومن أجل هذا دعنا نصحبك في جولة سريعة نتعرف بها على تلك المراكز الرئيسة التي يضعها أكثر الناس في بؤر اهتماماتهم.

ونطلب منك وأنت في صحبتنا في هذه الجولة أن تمعن النظر في ذاتك، وأن تصدق مع نفسك لترى أي مركز من تلك المراكز يحوز على اهتمامك ويشكل بوصلتك الداخلية.

(١) المال:

يضع الكثير من الناس جمع المال كهدف أكبر لهم في الحياة، ولا شك أن المال عصب الحياة، وأنه ضروري جدًا لتحقيق الكثير من أهداف الإنسان كالاستقرار وتكوين الأسرة وإقامة المشروعات وغير ذلك، ولكن ينبغي أن نفهم أن المال وسيلة وليس غاية، ولنرَ ماذا يحدث للإنسان إذا جعل من جمع المال الهدف الأكبر له في الدنيا.

إن الإنسان الذي يسيطر عليه هم جمع المال يضيع على نفسه الكثير، إنه يعيش مهمومًا دائمًا؛ لأنه يستمد إحساسه بالأمان

وبقيمته الذاتية من مقدار ما يملك من ثروة، وحيث إن المال عرض زائل يجيء ويذهب، فقد يؤدي تردي حالته الاقتصادية إلى فقدانه لهذا الإحساس بالأمان أو الثقة بالنفس.

ومعظم الذين يضعون جمع المال كهدف رئيس لهم في الحياة فإنهم غالبًا ما يضعون أسرهم وأبناءهم في ذيل قائمة اهتماماتهم بحجة أنهم مشغولون بتوفير الأمان المادي لهم، ثم يفاجئون بعد ردح من الزمان بتمزق الأسرة ودمار الأبناء ويندمون ساعتها حين لا ينفع الندم، والواقع مليء بتلك القصص المؤسفة التي ضاعت فيها الأسر نتيجة انشغال رب الأسرة بجمع المال كهدف لا وسيلة.

يقول ستيفن كوفي: (يحكي أحد زملائنا القصة التالية: منذ عدة سنوات أعلن أحد الأشخاص لزملائه وجيرانه أن هدفه للعام القادم هو أن يكسب مليون دولار. كان هذا الرجل من رجال الأعمال المبدعين الذين يؤمنون بالحكمة القائلة: "أعطني فكرة جيدة وأنا أكسب مليونًا".

عمل هذا الرجل على تطوير وتسجيل منتج مبتكر له علاقة بالرياضة البدنية، ودار في كل المناطق يبيعه، أحيانًا كان يأخذ أحد

أولاده معه لمدة أسبوع خلال هذه الرحلات، اشتكت زوجته إليه من أخذ الأولاد معه لأنهم بعد عودتهم من الرحلة يصبحون أكثر إهمالًا لدروسهم وواجباتهم المدرسية، ولأن الأطفال يرون أن هذا الأسبوع مجرد إجازة فإن ذلك يمنعهم من القيام بما يجب أن يقوموا به.

في نهاية العام أعلن هذا الشخص أنه حقق هدفه وكسب المليون دولار، ولكن بعد ذلك بقليل طلق زوجته، وأدمن اثنان من أبنائه المخدرات، بينما خرج الثالث ولم يعد، باختصار.. تفككت العائلة تمامًا)[1].

وحينما يسيطر هم جمع المال على تفكير الإنسان كهدف أوحد له في الحياة؛ فإنه قد يسبب له البطر والتكبر وغيرها من الصفات المهلكة التي تدمر نجاح الإنسان في الدنيا، ونصيبه عند الله في الآخرة.

وهذا هو ما حدث مع قارون، ذلك "الملياردير" الذي لم تعرف الدنيا له مثيلًا في غناه وفحش ثرائه؛ كما أخبرنا الله عز وجل:

﴿ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ .. ﴾. [القصص: ٧٦]

---

(١) (إدارة الأولويات الأهم أولًا)، ستيفن كوفي، ص (٢٠١).

ولكن ماذا كانت عاقبته عندما قصر همومه على جمع المال وأعرض عن نصح قومه له؟

﴿ وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [القصص: ٧٧].

فكان رده مليئًا عجبًا وتيهًا وجحودًا لنعمة المنعم وفضله:

﴿ قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ .. ﴾ [القصص: ٧٨].

وبغى على قومه وأفسد في الأرض، وخرج عليهم في استعراض عظيم لكنوزه وأمواله كبرًا وأشرًا، فماذا كانت النتيجة:

﴿ فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ .. ﴾ [القصص: ٨١].

ثم اعلم أيضًا أن المال وحده لا يمكن أن يجلب للإنسان السعادة ما لم يرتبط جمع المال بغاية أسمى وأعلى، يقول النبي ﷺ: «تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم»[1].

فإن «أول شرط ليعيش الإنسان في سعادة دائمة أن تكون

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب الحراسة في الغزو في سبيل الله، رقم: ٢٨٨٧.

حياته مليئة بالغايات، وأن يهدف دائمًا إلى شيء ما خارج حدود ذاته»[1].

وليس أدل على ذلك من قصة أغنى امرأة في العالم، "كرستينا أوناسيس" ابنة الملياردير اليوناني "أوناسيس"، مات والدها وترك لها المليارات، شركات ومؤسسات، قصورًا وناطحات سحاب، وغير ذلك، تزوجت هذه الفتاة عدة مرات، وفي كل مرة يحدث الطلاق، وتسأل في كل مرة لماذا تبدل الأزواج بهذه الطريقة؟ فتقول: أبحث عن السعادة.

حتى إنها تزوجت في آخر المطاف برجل شيوعي من الاتحاد السوفيتي السابق، وذهبت لتعيش معه في بلده، تسكن في غرفتين، تعيش على ما تصرفه لهم الدولة الشيوعية من مؤن، ويذهب إليها الصحفيون ويسألونها: كيف تلتقي قمة الرأسمالية مع الشيوعية؟ فتقول: أبحث عن السعادة.

ثم انفصلت عن زوجها هذا، وانتهى أمرها بأن وجدوها ميتة في إحدى شاليهاتها بالأرجنتين.

---

(١) (قوة الأهداف اقتباسات إدارية للانتقال إلى مستويات أعلى في الحياة)، كاثرين كارفيلس، ص (١٠٧).

أيها المؤمن: مما سبق يتأكد لنا أن المال وإن كان ضروريًّا لتحقيق الأهداف، إلا أنه لا يصلح أبدًا أن يكون على رأس اهتماماتنا في هذه الحياة.

(٢) العمل:

وبعض الناس يهتمون أيضًا بأعمالهم أكثر مما يهتمون بأولادهم وأسرهم وأنفسهم، فيصبح حبهم لعملهم مبالغًا فيه لدرجة الإصابة بمرض (إدمان العمل)، ويستمد هؤلاء إحساسهم بقيمتهم الذاتية من عملهم، وفي هذا خطورة شديدة؛ لأن مثل هؤلاء إذا فقدوا عملهم أو أصيبوا بعاهة أو مرض يمنعهم من أداء هذا العمل، فإنهم يفقدون إحساسهم بقيمتهم الذاتية، ويشعرون أنه لم يبق شيء يعيشون من أجله بعد ذلك[١].

وقد يدفع أحدهم الانشغال الزائد بالعمل إلى تفريط في حقوق الله- تبارك وتعالى- كما هو حال كثير من المسلمين؛ فتجد الواحد منهم ينهمك في عمله حتى إذا حان وقت الصلاة بخل على نفسه ببضع دقائق يؤدي فيها حق الله تعالى بحجة أن العمل

---

(١) (العادات السبع لأكثر الناس فعالية)، ستيفن كوفي، ص (٧٣)، بتصرف.

عبادة.

وينسى أن الله تعالى الذي يقول في كتابه الكريم: ﴿ فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [تبارك: ١٥]، هو أيضًا الذي يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ .. ﴾ [المنافقون: ٩].

فالذي أمر بالسعي في العمل وتعمير الأرض هو نفسه سبحانه الذي أمر ألا يلهينا ذلك عن ذكر الله وعن الصلاة.

(٣) المتعة واللهو والترفيه:

وكثير من الناس أيضًا يضع المتعة كهدف رئيس له في الحياة، فيقضون أوقاتهم في مشاهدة البرامج الترفيهية في التليفزيون أو المسارح والملاهي، أو ألعاب الكمبيوتر أو الذهاب إلى السينما وغير ذلك من أنواع اللهو سواء أكان حلالًا أم حرامًا.

ولا شك أيضًا أن وجود بعض الترفيه المباح الذي لا يتعدى حد الاعتدال هو أمر مهم لتحقيق الصحة النفسية والتوازن في حياة الإنسان، لاسيما بعد العمل المرهق، أو الانشغال بمشاكل الحياة المعقدة.

ولنا في مشهد حنظلة وأبي بكر معينًا على فهم القاعدة في التعامل مع اللهو والترفيه؛ حيث يحكي حنظلة الأسدي فيقول: (لقيني أبو بكر فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قلت: نافق حنظلة. قال: سبحان الله، ما تقول؟! قال: قلت: نكون عند رسول الله ﷺ يذكرنا بالجنة والنار حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عنده انشغلنا بالأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا. فقال أبو بكر: وإني ألقى مثل الذي تقول، هيا بنا إلى النبي ﷺ. فشكيا إليه ما يجدان، فهدّأ من روعهما، وقال لهما: « .. **يا حنظلة ساعة وساعة**»)[1].

(ولكن اللهو في حد ذاته لا يحقق أية سعادة دائمة باقية في حياة الإنسان، فالشخص الذي يمضي أغلب وقته في المتعة واللهو سيمل منه ويسأمه فيطلب مستوى أعلى من المتعة واللهو، وهكذا حتى يمل من كل شيء فلا يجد في النهاية ما يمتعه أو يسليه، ويفقد إحساسه بقيمة الحياة.

وقد تأخذه فنون اللهو من الأفلام والمسلسلات إلى التعلق بعالم

---

(١) جزء من حديث رواه مسلم، كتاب التوبة، باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة، رقم: ٤٩٣٧.

من الأوهام والخيالات لا يوجد إلا في شاشات السينما؛ فيفقد إحساسه تدريجيًّا بالواقع الذي يعيش فيه، وبالطبع فإن هذا سوف يؤثر على إنتاجيته وإحساسه بالمسئولية تجاه عمله وبيته وأسرته وأصدقائه)[1].

وهكذا يضيع حياته ذاتها هباء دون أن يدري، وقد يجره سأمه من أنواع اللهو البريء المباح إلى أن يطلب اللذة في لهو محرم.

ومن ثم يصدق فيه قول الله تعالى: ﴿ أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَـٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴾ [الفرقان: ٤٣].

وإذا وصل إلى ذلك فقد حاز الشقاء في الدنيا والآخرة والعياذ بالله.

(٤) الزوج أو الزوجة:

إن الزواج بلا شك أحد أهم العلاقات الإنسانية التي تسعد الإنسان وتشعره بالراحة والاستقرار، والسكن والمودة والرحمة.

كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا

---

(١) (العادات السبع لأكثر الناس فعالية)، ستيفن كوفي ص (٧٣، ٧٤)، بتصرف وزيادة واختصار.

﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

ومن الطبيعي- بل ومن الواجب- أن يهتم كل إنسان بزوجه اهتمامًا خاصًا، كما هي وصية النبي ﷺ: «**خيركم خيركم لأهله**»[1].

ولكن إذا وضع الإنسان زوجه في مركز اهتمامه الوحيد في الحياة، فإن ذلك لابد أن يقوده إلى التبعية وعدم الاستقلال، بحيث يعتمد عاطفيًّا على شريك حياته، فيستمد إحساسه بالسعادة، وثقته بنفسه من زوجه، فيصبح نهبًا للتقلبات العاطفية أو المزاجية لنصفه الآخر، وإذا ما حدث انفصال- لا قدر الله إلا الخير- لسبب أو لآخر، فإن حياة الإنسان تتحطم، ويفتقد الإحساس بقيمته في الحياة، يقول أحد الحكماء: (**لا تصنع لزوجتك محرابًا تتعبد لها فيه، فإنك إن فعلت ذلك فلن تسلم من طغيان إلهك الجديد**).

وقبل ذلك يرشد سيد الخلق عليه الصلاة والسلام إلى المنهج القويم في العلاقات العاطفية عامة والزوجية خاصة، فيقول:

---

(١) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب فضل أزواج النبي ﷺ، رقم: ٣٨٣٠. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٣٣١٤.

«أحبب حبيبك هونًا ما عسى أن يكون بغيضك يومًا ما، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى أن يكون حبيبك يومًا ما»[1].

ويقل عمر رضي الله عنه: «لا يكن حبك كلفًا، ولا بغضك تلفًا»[2].

وبالطبع ما ينطبق على الزوج فإنه ينطبق على الزوجة، وما نرفضه هنا هو التبعية العمياء وعدم الاستقلال وضعف الشخصية، تلك الأمور التي تغري الطرف الآخر بالطغيان وسوء الاستغلال، وعندها تصبح العلاقة بين الزوجين غير متوازنة على الإطلاق.

فينبغي للمحب (من زوج أو زوجة) أن يتوقى الإفراط في المحبة؛ (فإن الإفراط داع إلى التقصير، ولئن تكون الحال بينهما متنامية، أولى من أن تكون متناهية)[3].

---

(١) رواه الترمذي في البر والصلة، رقم: ١٩٩٧. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ١٧٨.

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد، رقم: ١٣٢٢، وفيه: فقلت (القائل: أسلم): كيف ذاك؟ قال: إذا أحببت كلفت كلف الصبي، وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف. وصحح الألباني إسناده في صحيح الأدب المفرد، رقم: ٩٩٣.

(٣) (أدب الدنيا والدين) الماوردي ص (١٧٧).

أما حد الاعتدال الذي وضعه الشرع الحنيف فهو الذي يلزم كل طرف بواجبات، ويجعل له حقوقًا بإزائها، بما يحفظ لكل من الزوجين شخصيته السوية، فالمطلوب إذن أن يؤدي كل طرف واجباته، ويأخذ حقوقه، ويهتم بالطرف الآخر كما أمرته الشريعة، ولا يجعل من شريكه صنمًا يتعبد له في محرابه.

فالزواج مهما بلغت أهميته فإنه أيضًا وسيلة لتحقيق العفة والسعادة والاستقرار، ولكنه ليس بغاية يحيا من أجلها الإنسان.

(٥) العائلة أو الأسرة:

من الواجب على كل إنسان أن يهتم بأسرته وعائلته، يقول النبي ﷺ: **«كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»**[١].

وعندما يكلأ المؤمن أسرته برعايته فإن ذلك يعطيهم الفرصة للشعور بالحب والتعاطف والرحمة والمودة وغيرها من تلك المشاعر الإنسانية السامية والتي تشعر الإنسان بالراحة والسعادة،

(١) رواه البخاري في عدة مواضع من صحيحه، منها: كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم: ٨٤٤، وكتاب العتق، باب كراهية التطاول على الرقيق، رقم: ٢٣٦٨، وباب العبد راع في مال سيده، رقم: ٢٣٧١. ورواه مسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل، رقم: ٣٤٠٨.

كما أن كل وقت يقضيه الإنسان مع أسرته وأولاده هو استثمار للمستقبل يساعد على تطورهم ونموهم، ويسهم في سعادة الأسرة جميعها على المدى القصير والطويل معًا.

ولكن أن يضع الإنسان أسرته فقط في مركز اهتمامه الرئيس بحيث يعيش لهم فقط، فإن ذلك لن يكون في مصلحته ومصلحتهم على المدى الطويل، فإن الحب المفرط للأولاد إلى حد الشغف الشديد بهم قد يعمينا عن أن نحسن تربيتهم، ويجعلنا نفرط في تدليلهم وتنفيذ رغباتهم، وإعطائهم كل ما يريدون من مال، حتى يشبوا مرفهين مدللين لا يقدر أحدهم على مواجهة مصاعب الحياة، ولا يستطيع الاعتماد على نفسه، وتحمل المسئولية بمفرده، كما أن أولادك حتمًا سيكبرون ويتزوجون، وينفضون من حولك، وساعتها إذا كنت قد جعلت أسرتك هي مركز اهتمامك الوحيد، فإنك ستشعر بفقدان قيمتك الذاتية وأن دورك في الحياة قد انتهى.

وعلى ذلك فلا تصلح الأسرة أن تشكل مركز اهتمامنا الوحيد والرئيس[1].

---

(١) (العادات السبع لأكثر الناس فعالية)، ستيفن كوفي، ص (٧٧، ٧٨) بتصرف واختصار.

(٦) الذات:

أنا

وكثير من الناس أيضًا يجعل من نفسه مركز اهتمامه الوحيد في هذه الدنيا، فيتمحور حول ذاته، ولا يهتم إلا بشخصه، وبصحته وسعادته، ولا يصرف أي اهتمام لغيره إلا بمقدار ما يستفيد منه لذاته.

وهذا هو الإنسان الأناني الذي يضع ذاته قبل أمته وأسرته وأصدقائه وأقرب الناس إليه، فهو يأخذ دائمًا ولا يعطي، وهذا الصنف من الناس فوق أنه يكسب كراهية كل من حوله، فإنه أيضًا لا يشعر أبدًا بسعادة حقيقية، (فكثيرون لديهم فكرة خاطئة عن الشيء الذي يشكل السعادة الحقيقية، إن السعادة لا تتحقق عن طريق إشباع المرء لذاته أو إشباعه لرغباته، وإنما عن طريق إخلاصه لهدف قيم)[1].

(٧) القيم والمبادئ:

يقول المثل الصيني: (العقول الصغيرة تناقش الأشخاص،

---

(١) (قوة الأهداف اقتباسات إدارية للانتقال إلى مستويات أعلى في الحياة)، كاثرين كارفيلس، ص (١٩).

والعقول المتوسطة تناقش الأشياء، والعقول الكبيرة تناقش المبادئ)[1].

إن الأمر الوحيد الذي يستحق أن يجعله الإنسان العظيم مركز اهتمامه الرئيس في هذه الحياة هو القيم والمبادئ القويمة، ذلك أن الذي يبني حياته على أساس القيم، إنما يبنيها على أساس متين لا يمكن أن يتزعزع مهما تغيرت الظروف، حيث إن المبادئ القويمة لا تموت، فهي ثابتة لا تتغير بتغير الظروف والأحوال، ولا تتبدد كالأموال.

ولذلك فإن الشخص صاحب المبادئ يعيش حياة آمنة مستقرة غير مهددة بالضياع والتذبذب، بخلاف من يعيش من أجل أشياء صغيرة، كالمال أو الزوجة أو الأسرة أو الذات، وغير ذلك من الأهداف المتغيرة بتغير الظروف والأحوال.

لا شك أن المبادئ القويمة إنما تحض الإنسان على الاهتمام بنفسه وأسرته وعمله، ولكن دون تفريط أو إفراط، ودون الإخلال بالمبادئ التي تشكل الاهتمام الأول للإنسان الحكيم العاقل.

---

(١) (صناعة النجاح)، د. طارق السويدان والأستاذ فيصل باشراحيل، ص (٨٦).

إن اهتمام الإنسان بالمبادئ القويمة يحرره من الخوف والقلق؛ لأنه يستند إلى قاعدة صلبة لا تتوفر لمن يقدس الثروة أو الزوجة أو العمل، إنها تعطيه قوة تنبع من إيمانه بذاته وقدراته، فهو يستطيع أن يبدأ دائمًا من جديد حتى لو فقد عمله أو ماله، كما يستطيع أن يتقبل الصدمات بصبر وعزيمة لو فقد عزيزًا عليه، فلا يقتله الحزن أو يفقد الأمل في الحياة مهما صادفه من عقبات[1].

حدد مركز اهتمامك:

وبعد أن استعرضنا معك تلك المراكز الرئيسة التي يضعها أكثر الناس في بؤر اهتماماتهم، فتعال الآن لنساعدك أكثر على تحديد مركز اهتمامك الرئيس، وذلك بأن تجيب معنا على هذه الأسئلة الأربعة:

١- من أين تستمد الشعور بالأمان وتقدير الذات؟

٢- ما هي المعايير التي تحكم أفعالك، وعلى أساسها تتخذ قراراتك في الحياة؟

٣- كيف تقدر الأمور وتحكم عليها بالصواب أو الخطأ؟

---

(١) (العادات السبع لأكثر الناس فعالية)، ستيفن كوفي، ص (٧٨، ٧٩)، بتصرف واختصار.

٤- ما الذي يحكم قدرتك على تنفيذ ما تقتنع به من مبادئ وما تتخذه من قرارات ؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة هي التي ستحدد حقيقة مركز اهتمامك، وهذا ما سنعينك عليه بإذن الله تعالى من خلال الجداول التالية:

مركز الاهتمام	ما مصدر الشعور بالأمان وتقدير الذات؟	كيف تحكم على الأمور بالصواب والخطأ	ما هي معايير اتخاذ القرارات وردود الأفعال ؟	ما الذي يحكم قدرتك على تنفيذ قناعاتك؟
١- المال	تشعر بالأمان فقط عند وفرة المال	ما يجلب لك المال هو الصواب وما يفقدك إياه هو الخطأ	جمع المال هو المسيطر على غالبية قراراتك وأفعالك	قدرتك على التنفيذ محددة بما يمكن أن تنجزه لك نقودك
٢- العمل	تشعر بالأمان فقط عند إحرازك النجاح في عملك	ما يدفعك للتقدم في عملك هو الصواب وما يؤخرك فيه هو الخطأ	العمل هو المسيطر على أفعالك وقراراتك	قدرتك على التنفيذ محددة بلوائح العمل وقوانينه وقناعات رئيسك في العمل

٣- المتعة واللهـو والترفيه	تشعر بالأمان فقط عندما تصل إلى أقصى درجات التمتع والترفيه	حكمك على الأمور سطحي جدا	تتخذ قراراتك بحيث تحصل منها على أكبر قدر من المتعة	أنت تهمل غالب قوتك على التنفيذ؛ لأن طاقتك معطلة ومبددة في المتعة
٤- الزوج أو الزوجة	شعورك بالأمان يتوقف على معاملة الطرف الآخر لك وأنت معرض بشكل كبير لتقلبات مزاجه	معيار خطأ الأمور وصوابها هو مدى تأثيرها على علاقتك بالطرف الآخر سلبًا أو إيجابًا	تتخذ قراراتك على أساس اختيار الأفضل والأنسب للطرف الآخر	قدرتك على التنفيذ محدودة برغبات الطرف الثاني
٥- العائلة أو الأسرة	شعورك بالأمان يعتمد على تحقيق أسرتك لآمالك فيهم ويتغير بتقلبات مشاعر أفرادها تجاهك	كل ما يتمشى مع صالح عائلتك هو الصواب وكل ما لا يوافق أفرادها فهو الخطأ	تتخذ قراراتك على أساس مصلحة العائلة	قدرتك على تنفيذ قناعاتك وقراراتك محددة بتقاليد العائلة

٦- الذات	شعورك بالأمان في تقلب مستمر تبعًا لتقلب ظروفك الشخصية	تحكم على الأمور صوابًا أو خطأً تبعًا لتأثيرها على مصلحتك الشخصية سلبًا أو إيجابًا	تتخذ قراراتك على أساس ما تحتاجه وما تريده وما يحقق صالحك أنت	قدرتك على التنفيذ محدودة بإمكاناتك الشخصية؛ فلا تستطيع الاستفادة من التعاون مع الآخرين إلا بدرجة محدودة
٧- المبادئ	شعورك بالأمان قوي وثابت مهما تغيرت الظروف؛ لأنه قائم على مبادئ صحيحة وثابتة	تحكم على الأمور وفقًا لتوافقها أو تعارضها مع مبادئك	تختار أنسب البدائل في تعقل واتزان دون تأثير من الظروف أو الآخرين	قدرتك على التنفيذ تفوق إمكاناتك الشخصية، فأنت قادر على التعاون الخلاق مع الآخرين

* مثال توضيحي

وإليك الآن هذا المثال الذي يوضح لك كيف يمكن أن يختلف تصرفك في الموقف الواحد تبعًا لمركز اهتماماتك:

لنفترض أنك كنت تستعد أنت وزوجتك وأبناؤك للانطلاق

إلى نزهة ترفيهية، وبينما أنتم تتجهزون للخروج إذا برئيسك في العمل يفاجئك باستدعاء عاجل إلى مقر عملك رغم أنك اليوم في عطلتك الأسبوعية فماذا سوف تفعل؟

إذا كنت متمركزًا حول عائلتك وزوجتك : فإنهم سيكونون محل اهتمامك الأول، ويمكنك ساعتها أن ترفض مطلب رئيسك، وتمضي في تلك النزهة مع عائلتك، وحتى لو غلبك الخوف من ضياع وظيفتك فإن الدافع وراء ذلك الخوف في الحقيقة هو خوفك على عائلتك، وساعتها ستذهب إلى عملك وأنت حانق على رئيسك، وقلق حول رد فعل عائلتك وستحاول تبرير قرارك لهم لتحمي نفسك من إغضابهم وخيبة أملهم فيك.

إذا كنت متمركزًا حول المال: فإن فكرك الأول سوف يتجه إلى المقابل المادي للوقت الإضافي الذي سوف تقوم به، أو تأثير ذلك على زيادة راتبك في المستقبل القريب، ويمكنك ساعتها إبلاغ زوجتك ببساطة أن عليك أن تذهب للعمل، وتفترض أنها سوف تتفهم المطالب الاقتصادية وما لها من أولوية.

أما إذا كنت متمركزًا حول العمل: فستفكر في الفرصة

المتاحة أمامك، حيث يمكنك أن تتعلم أكثر عن دقائق العمل، ويمكنك أيضًا إيضاح بعض الأمور لرئيسك ودعم موقفك الوظيفي، إضافة إلى شعورك بالرضا عن نفسك لأنك بهذا تكون جادًّا في عملك.

أما إذا كنت متمركزًا حول المتعة: فلربما نحيت العمل جانبًا، وأقبلت على النزهة مع أهلك مهما كانت النتائج، حتى لو كانت عائلتك نفسها سوف تسعد بذهابك للعمل.

وإذا كنت متمركزًا حول الذات: فإنك ستركز على أقصى ما يمكن أن تحصل عليه من منافع إذا أخذت بأي من الخيارين، وفي النهاية ستختار منهما ما يحقق لك أعظم مصلحة من وجهة نظرك.

وأما إذا كنت متمركزًا حول المبادئ: فإنك ستنحي المشاعر جانبًا، وتعمل على تقويم كل الخيارات المتاحة وبالنظر إلى احتياجات العمل ولوازم الأسرة وغير ذلك من الاعتبارات المهمة، فسوف تحاول التوصل إلى الحل الأمثل مع أخذ كل العوامل في الاعتبار، واختيار أنسب بديل ممكن، وسواء اخترت

الذهاب للنزهة مع الأسرة، أو الذهاب للعمل، فإن اختيارك سيكون نابعًا من مبادئك دون أدنى تأثير للأشخاص أو العواطف أو الظروف عليك، وبالتالي لن تندم عليه أبدًا مهما كانت العواقب.



المؤمن المتفرد

أيها المؤمن: إذا كان العقلاء من الشرق والغرب قد أجمعوا أن الإنسان الفعال هو الذي يجعل مركز حياته وبؤرة اهتماماته تنبع كلها من القيم والمبادئ الصحيحة، فيا ترى من الذي يحدد هذه القيم والمبادئ؟

ترى أهو الغرب المتقدم؛ لأنه هو الذي يمسك بزمام الحضارة اليوم؟! قد يقول بذلك البعض، ولكن الواقع يرينا أن مبادئ الغرب متناقضة، تكيل بمكيالين، فهي لا تعمل إلا لصالحهم وتحقيق أطماعهم، فقيم العدل وحقوق الإنسان إنما تُحترم إذا كانت تتعلق بهم وحدهم.

إن الحضارة الغربية الآن بعد كل ما حدث ويحدث منها في العالم الإسلامي قد سقطت أقنعتها الزائفة حتى ما عادت تصلح أن تقدم للبشرية منهج حياة.

بل إن كل البشر لو اجتمعوا على أن يضعوا مبادئ ومناهج تحكم الإنسان لفشلوا فشلًا ذريعًا في ذلك؛ لأنهم جميعًا بشر، تعتريهم الأهواء والنقائص، وينقل الأستاذ سيد قطب- رحمه الله- عن الدكتور ألكسيس كاريل قوله: «إن الحضارة العصرية تجد نفسها في موقف صعب لأنها لا تلائمنا، لقد أنشئت دون أية معرفة بطبيعتنا الحقيقية؛ إذ إنها تولدت من خيالات الاكتشافات

العلمية وشهوات الناس وأوهامهم ونظرياتهم ورغباتهم، وعلى الرغم من أنها أنشئت بمجهوداتنا إلا أنها غير صالحة بالنسبة لحجمنا وشكلنا»[1].

ويقول أيضًا: (وهؤلاء النظريون يبنون حضارات بالرغم من أنها رسمت لتحقيق خير الإنسان، إلا أنها تلائم فقط صورة غير كاملة أو مهولة للإنسان، إن نظم الحكومات التي أنشأها أصحاب المذاهب في عقولهم عديمة القيمة، فمبادئ الثورة الفرنسية وخيالات ماركس ولينين تنطبق فقط على الرجال الجامدين «غير الأحياء أو المتحركين»، فيجب أن نفهم بوضوح أن قوانين العلاقات البشرية ما زالت غير معروفة، فإن علوم الاجتماع والاقتصاديات علوم تخمينية افتراضية)[2].

إن الذي من حقه أن يضع للإنسان مبادئه ومنهج حياته هو الخالق سبحانه وتعالى؛ لأنه الأعلم بما يصلح خلقه.

﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾[الملك: ١٤].

إن الحضارة الغربية بكل بريقها الزائف لا تستطيع أن تكون منبعًا للقيم والمبادئ القويمة؛ ذلك أنها حضارة مادية بحتة لا

---

(١) (الإنسان ذلك المجهول)، د. ألكسيس كاريل، ص (٣٨)، نقلًا عن (الإسلام ومشكلات الحضارة)، الأستاذ سيد قطب رحمه الله، ص (١١١).

(٢) المرجع السابق، ص (١١٢).

تلبي إلا جانبًا واحدًا من جوانب التكوين الإنساني، ألا وهو (المتاع الحسي)، أما (الروح) فلا يملك غذاءها إلا نحن المسلمين أصحاب الشريعة الوحيدة الباقية كما أنزلها الله تعالى، والتي ارتضاها الله عز وجل كشريعة خاتمة.

﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَـٰمُ ﴾[آل عمران: ١٩].

يقول ابن القيم رحمه الله: «في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس بالله، وفيه حزن لا يذهبه إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته، وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه والفرار إليه، وفيه نيران حسرات لا يطفئها إلا الرضا بأمره ونهيه وقضائه ومعانقة الصبر على ذلك إلى وقت لقائه، وفيه فاقة لا يسدها إلا محبته والإنابة إليه ودوام ذكره وصدق الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها[1] لم تسد تلك

---

(١) هذا الذي جعل بلدًا كالسويد تعيش في قلق وحيرة مع أن الشعب السويدي هو الشعب الوحيد الذي يعيش في مستوى اقتصادي يشبه الأحلام، ولا يكاد يوجد في حياتهم خوف من فقر أو شيخوخة أو بطالة، ومع كل ذلك فالناس تحيا حياة قلق كلها ضيق وتوتر وشكوى وسخط وتبرم ويأس؛ حتى كانت النهاية الانتحار. (صناعة النجاح) د. طارق السويدان والأستاذ فيصل باشراحيل، ص (٣٩)، نقلًا عن (الإيمان والحياة)، د. يوسف القرضاوي، ص (٦٧، ٦٨) (بتصرف).

الفاقة أبدًا»[1].

أما الغرب فمهما قدم من مبادئ وقيم فإن ظاهرها فيه الرحمة وباطنها من قِبله العذاب؛ ذلك أنها قيم مبتوتة عن الأصل الرباني تفصل بين الدين والدنيا وبين الدنيا والآخرة.

وعلى ذلك نقول لك أيها المؤمن: إنك وحدك تملك مفاتيح الفاعلية الحقيقية على هذه الأرض، تلك الفاعلية التي تنطلق من مبادئ هذه العقيدة التي تنظر إلى الدنيا والآخرة على أنهما طريق واحد موصل إلى الله تعالى، إنها الفاعلية الربانية التي تحقق لصاحبها السعادة في الدارين، وتصنع منه إنسانًا ذا طاقة جبارة قادرة على صنع الإنجازات الرائعة.

ولتنظر مثلًا إلى صحابة النبي ﷺ، تلك الثلة المباركة التي كانت قبل إسلامها شرذمة من الأعراب ليس لهم أي وزن في حساب الأمم، وما أن تخلل نور العقيدة قلوبهم وجعلوا مبادئها في مركز اهتماماتهم وحياتهم حتى تحولوا إلى عمالقة لم يعرف لهم التاريخ مثالًا، حتى إنهم أقاموا أعظم دولة عرفها التاريخ في أقل من

---

(١) (صناعة النجاح)، د. طارق السويدان والأستاذ فيصل باشراحيل، ص (٤٠)، نقلًا عن (الإيمان والحياة)، د. يوسف القرضاوي، ص ٧٨.

ثلاثين عامًا.

وخلال عقدين متتاليين من الزمان كان المسلمون قد استوعبوا علوم جميع الحضارات الأخرى ثم طوروها وقعَّدوا وأصَّلوا لها، بل واكتشفوا كثيرًا من العلوم الأخرى حتى بلغوا في عصر الخلافة العباسية قمة العلم والحضارة ووضعوا الأسس التي تلقفتها أوروبا بعد ذلك وصنعت منها النهضة.

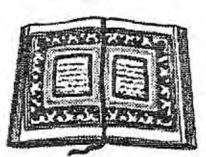
من أجل ذلك أيها المؤمن فإنك أنت وحدك المؤهل لتسلم زمام القيادة؛ لأنك وحدك الذي تملك القيم الحقيقية الموصولة برب البرية.

أما الحضارة الغربية فإنها رغم بهرجها الزائف فإنها آيلة للسقوط؛ لأنها لا تملك رصيدًا حقيقيًّا من القيم والمبادئ الصحيحة، والتي تمثل الضمانة الحقيقية لقيام واستمرار الحضارات.

ومن هنا يأتي تفرد المؤمن المتصل بربه تبارك وتعالى؛ إنه يملك ما لا يملكه الآخرون، إنه يملك المنهج الرباني الصالح لكل زمان ومكان.

❋ ❋ ❋

رسالة المؤمن



أيها المؤمن: إن رسالتك المتفردة التي تمنحها لك شريعة الإسلام تنبني كلها على الإجابة على أخطر سؤال ظهر على وجه الأرض منذ بدء الخليقة وحتى قيام الساعة، هذا السؤال هو: **لماذا خُلقنا على ظهر الأرض؟ ما مهمة الإنسان الحقيقية التي وجد للقيام بها؟**

هذا السؤال الذي حير الفلاسفة والمفكرين الذين حرموا من نور الوحي، فضلوا وأضلوا.

حاول أفلاطون أن يجيب على هذا السؤال، فقاده فكره إلى إجابة هزلية تقول: بأن الله عز وجل قد خلق هذا الكون ثم نسيه، من أجل ذلك دبت الفوضى على الأرض ونشأ الصراع بين البشر. تعالى الله جل وعلا عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

فسبحان الذي قال في كتابه: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾[مريم: ٦٤]

ثم جاء كارل ماركس فخرج علينا بنظرية أخرى تافهة تقول: بأن الله خلق الكون من أجل أن يلهو ويلعب، تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا.

وتأتي هذه الآية من كتاب الله لترد على هؤلاء وأمثالهم، يقول

تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴾

[الدخان: ٣٨]

ثم يأتي حائر ثالث كمثل إيليا أبي ماضي، يعبر عن حيرته وتيهه في قصيدة طويلة سماها الطلاسم، يقول فيها:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت

ولقد أبصرت قدامي طريقًا فمشيت

وسأبقى سـائرًا شئت هذا أم أبيت

كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟

لست أدري؟

أما عقيدتنا الخالدة فهي وحدها التي تملك الإجابة الصحيحة الوحيدة ممثلة في قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

نعم أيها المؤمن فهذا هدفك الأعظم في الحياة، أن تمضيها كلها في تحقيق مرضاة الله- عز وجل- فيكون جزاؤك السعادة والنجاح في الدنيا والآخرة.

ولكن هل يعني ذلك أنك مطالب بالعكوف في المساجد، وترك الدنيا من أجل التفرغ للعبادة؟!!

كلا بالطبع، إن هذا المفهوم المغلوط الناقص لكلمة العبادة هو الذي أوجد ذلك الفصام النكد بين الدين والدنيا، وبين الدنيا والآخرة في حس كثير من المسلمين.

فالعبادة في مفهومها الصحيح كما يعرفها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله هي: (كل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة)[1].

فكل فعل لك في هذه الحياة- سواء كان طاعة مشروعة أو عملًا مباحًا- إذا ابتغيت به مرضاة الله عز وجل فإنه عبادة تثاب عليها من الله عز وجل، بل إن المسلم عندما يأتي شهوته المباحة يؤجر عليها وتكون له صدقة؛ يقول ﷺ: « .. **وفي بضع أحدكم صدقة**» فتعجب الصحابة من ذلك؛ قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟! قال: «**أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر**»[2].

---

(١) (العبودية)، شيخ الإسلام، ص (١).

(٢) رواه مسلم في الزكاة، باب أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، رقم: ٥٣. والبضع: كناية عن جماع الرجل زوجه.

وتعمير هذه الأرض، هو من جملة العبادات التي فرضها الله على المؤمن، غير أن تحقيق العبودية لله - جل وعلا - في الأرض لا يتم إلا بحيازة مقومات الخلافة التي جعلها الله عز وجل سببًا لاستمرار الحياة وبقائها.

يقول الأستاذ محمد قطب: (الإنسان في عرف الإسلام هو الخليفة في الأرض، قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً.. ﴾ [البقرة: ٣٠]. خُلق ليعبد الله ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. والعبادة تشمل كل نشاط الإنسان في الأرض ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]، ومن بين العبادة المطلوبة عمارة الأرض ﴿ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَٱسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَٱسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾ [هود: ٦١]، ومن بينها السعي في الأرض وابتغاء فضل الله ﴿ هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ [الملك: ١٥])[1].

والخلافة في الأرض إنما تكون بعمارتها وصناعة النهضة والحضارة فيها، ولكنها الحضارة الموصولة بالله تعالى، والتي

---

(١) (واقعنا المعاصر)، محمد قطب، ص (٨٥، ٨٦).

ينشئها الإنسان في تعبيد الناس لرب العالمين، وها هو النبي ﷺ يبين لنا هذا المفهوم العظيم، ويعقد الصلة بين الدنيا والآخرة، فيقول ﷺ: **«إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فإن استطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها»**[1].

تأمل أيها المؤمن هذا الحديث المعجز الذي لا يمكن أن يصدر إلا عن خاتم النبيين والمرسلين محمد ﷺ، لقد كان من المتوقع والقيامة قد أوشكت أن تقوم أن يأمرنا ﷺ بالتوبة والاستغفار ونسيان الدنيا والإقبال على الآخرة، ولكنه ﷺ أمرنا بغرس الفسيلة، فسيلة النخل التي لا تثمر إلا بعد سنين طويلة.

وما ذاك إلا ليعلمنا ﷺ هذا الدرس العظيم؛ وهو أن (طريق الآخرة هو هو طريق الدنيا، بلا اختلاف ولا افتراق، إنهما ليسا طريقين منفصلين أحدهما للدنيا والآخر للآخرة، وإنما هو طريق واحد يشمل هذه وتلك، ويربط ما بين هذه وتلك، ليس هناك طريق للآخرة اسمه العبادة وطريق للدنيا اسمه العمل، إنما هو طريق واحد أوله في الدنيا وآخره في الآخرة، وهو طريق لا يفترق

---

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده رقم: ١٢٥٦٩. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ١٤٢٤.

فيه العمل عن العبادة، ولا العبادة عن العمل، كلاهما شيء واحد في نظر الإسلام، وكلاهما يسير جنبًا إلى جنب في هذا الطريق الواحد الذي لا طريق سواه»[1].

وأما هذا الفصل المتعسف بين الدنيا والآخرة أو بين العمل والعبادة فليس من الإسلام في شيء؛ فديننا لا يطلب منا أبدًا أن نعتزل الدنيا أو أن ننسى الله تعالى ونحن نمارس أعمالنا وأنشطتنا الحياتية من دراسة وتجارة وصناعة وغيرها بدعوى أننا الآن نعمل للدنيا، وعندما نفرغ منها سنعود إلى الاشتغال بالعبادة، كلا .. إن ذلك ليس من الإسلام!!

الإسلام أن يأكل المسلمون باسم الله، ويتزوجوا باسم الله، ويتعلموا باسم الله، وفي سبيل الله، ويعملوا وينتجوا ويتقووا ويستعدوا باسم الله، لا تشغلهم الدنيا عن الآخرة ولا الآخرة عن الدنيا لأنهما طريق واحد لا يفترقان.

هل علمت الآن أيها المؤمن عظمة إسلامك؟ هل فهمت دينك بتمامه وشموله؟ ولماذا كانت شريعته هي الشريعة الوحيدة التي تصلح لطبيعة الإنسان؟ هل فهمت أنك مطالب بعمارة

(١) (قبسات من الرسول)، أ. محمد قطب، ص (١٩).

الأرض وصناعة الحياة تمامًا كما أنك مطالب بالصيام والصلاة؟ هل تيقنت أن الله تعبدك بالنجاح وتفوقك في عملك كما تعبدك بزكاتك وحجك؟

إذا كنت قد علمت كل ذلك واتفقت معنا فيه فإننا نستطيع الآن أن نضع رسالة عامة لابد وأن يحملها كل مؤمن في الحياة وهي إرضاء الله تعالى من خلال:

١- الالتزام بمنهج الإسلام في نفسه وماله وأهله.

٢- صناعة الحياة من خلال التفوق في تخصصه المهني سواء أكان طبيبًا أم مهندسًا أم عالمًا أم غير ذلك.



أركان الرسالة الفعالة

لكي تكون صياغتك لرسالتك الشخصية صياغة فعالة بحيث تجعل منها خير موجه لك في الحياة، لابد أن تتضمن رسالتك الأركان الآتية:

الركن الأول: إرضاء الله تعالى:

فهذه هي الغاية الكبرى، والمهمة العظمى التي خلق الله عز وجل الخلق من أجلها، فإذا لم يربط الإنسان رسالته في الحياة بإرضاء ربه عز وجل فإنه بذلك يكون قد ضيع حياته هباءً منثورًا، ومهما حقق الإنسان من أهداف وإنجازات في الدنيا، فطالما أنها غير مرتبطة بإرضاء الله عز وجل، فهي إنجازات قصيرة الأجل، محدودة بعمره القصير، وأما إن ارتبطت نجاحات الإنسان وإنجازاته بابتغاء رضوان الله تعالى فإنها تكون عظيمة الأثر، لا تزول بزوال الإنسان، بل يمتد نفعها إلى الآخرة الباقية وشتان شتان بين من جعل همه جمعَ المالِ من أجل حظوظ نفسه وشهواتِها؛ فكان ممن قال فيه النبي ﷺ: «تعس عبدُ الدينارِ»[1]، وبين من جعل همه جمع المال في الدنيا من أجل رفعة شأن الإسلام

(١) رواه البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب فضيلة الحراسة في الغزو في سبيل الله، رقم: ٢٨٨٧.

والمسلمين وهو في الوقت ذاته يتمتع بماله ذلك بما أحله الله له، كما قال ﷺ: «نعم المال الصالح للرجل الصالح»[1]، «فهو يتقي فيه ربه ويصل به رحمه»[2].

فلابد أن تبدأ رسالتك أيها المؤمن بهذه العبارة الرائعة:

إرضاء الله تعالى من خلال:

الركن الثاني: نفسك:

فلا تنس نفسك في الرسالة، حتى لا يستهلكك العمل ليلًا ونهارًا، وتنسى حقوق هذه النفس عليك، كما قال ﷺ: «إن لنفسك عليك حقًّا»[3].

الركن الثالث: أهلك:

وذلك حتى لا يضيع حقهم عليك في غمرة انشغالات الحياة، كما قال ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[4]،

---

(١) جزء من حديث صحيح أخرجه أحمد في المسند رقم: ١٧٣٠٩، وصححه الألباني في تخريج مشكلة الفقر ص١٩.

(٢) جزء من حديث صحيح رواه الترمذي، كتاب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، رقم: ٢٣٢٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم: ٣٠٢٤.

(٣) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع....، رقم: ١٩٦٨.

(٤) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، رقم: ٨٩٣. ومسلم، كتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل...، رقم: ١٨٢٩.

وقال أيضًا: «وإن لأهلك عليك حقًّا»[1].

الركن الرابع: الآخرون:

فديننا العظيم لا يعرف المسلم الذي يعيش لنفسه ولأهله فقط «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم» والنجاح الذي يحققه الإنسان بمفرده، وبمعزل عن الآخرين هو نجاح ناقص مبتور، ولذلك تجد رسالة النبي ﷺ وهي أعظم رسالة على الإطلاق قد ضمنها الله عز وجل الآخرين، قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وهكذا إذا تضمنت رسالتك إرضاء ربك، والاهتمام بنفسك وأهلك والآخرين، فهذه هي الرسالة الفعالة حقًّا الجديرة بتغيير مجرى حياة الإنسان، ووضع أقدامه على أول درب السعادة والنجاح في الدنيا والآخرة.

مثال: إذا كانت رسالتك في مجال التعليم، فتستطيع أن تضعها في الصيغة التالية:

إرضاء الله تعالى من خلال تعليم نفسي وأهلي والآخرين والارتقاء بعقولهم.

---

(١) جزء من حديث تقدم تخريجه قريبًا.

كل ميسر لما خلق له

«إنك شيء فريد في هذا العالم إنك نسيج وحدك، فلا الأرض منذ خلقت رأت شخصًا يشبهك تمام الشبه، ولا هي في العصور المقبلة سوف ترى شخصًا يشبهك تمام الشبه»

ديل كارنيجي

أيها المؤمن: إذا كنت غير مخير في اختيار مضمون رسالتك وحقيقتها ألا وهي «**تحقيق العبودية لله تعالى، وإقامة خلافته في الأرض**» إلا أنك مخير في صورة هذه الرسالة؛ بمعنى أن تختار التخصص الذي يناسبك في الحياة، والذي ستصنع الحياة بهذا الدين من خلال التفوق فيه والمساهمة عبره في إقامة خلافة الله في الأرض.

وحتى تستطيع أن تنجح في تخصصك لابد أن يكون هذا التخصص مناسبًا لك، بمعنى أن يكون متوافقًا مع ميولك وإمكاناتك ومواهبك؛ وذلك حتى تكون رسالتك نابعة من نفسك وكيانك أنت غير مفروضة عليك من الواقع أو من الآخرين؛ لذلك لابد أن نرشدك في هذا المقام إلى أسس مهمة بها تستطيع أن تحدد التخصص الذي يمكنك أن تتفوق فيه وتخدم

دينك وأمتك ونفسك وأهلك من خلاله إن شاء الله تعالى.

(١) لا تكن غير نفسك:

بمعنى ألا تقلد غيرك تقليدًا أعمى، فتهفو إلى أن تصبح مثل فلان أو علان من النماذج الناجحة؛ لمجرد أنك رأيت الناس يعجبون به ويثنون عليه، حتى ولو كان مجاله وتخصصه لا يناسب ميولك وإمكاناتك، وساعتها ستكون كالمُنْبَتِّ لا أرضًا قطع ولا ظهرًا أبقى، أو كذلك الغراب الراقص الذي أراد أن يتعلم مشية أحد الطيور فلم يستطع، فلما أراد أن يعود إلى مشيته نسيها، فكان مشيه مثل الراقص الأبله[1].

ويحكي الكاتب الأمريكي المشهور ديل كارنيجي تجربة مريرة له تعلم منها أنه لن يستطيع أن يكون غير نفسه فيقول: «عندما قدمت إلى نيويورك لأول مرة من مزارع الذرة في ميسوري التحقت بالكلية الأمريكية للفنون المسرحية، إذ كنت مصممًا على أن أصبح ممثلًا، كانت لدي فكرة اعتقدت أنها رائعة وأنها طريق قصير وسريع للوصول إلى النجاح، حتى إنني لم أفهم لماذا لم يكتشفها آلاف الطموحين قبلي، كنت أدرس كيف توصل الممثلون

---

(١) (إدارة الذات)، د. أكرم رضا، ص (٣٥).

المشهورون إلى أهدافهم وبعد ذلك أدرس وأقلد أفضل مزاياهم وصفاتهم، فأجعل من نفسي نجمًا ناجحًا ولامعًا، لكن هذه الفكرة كانت سخيفة وواهية؛ إذ كان علي أن أمضي عدة سنوات من حياتي أقلد الآخرين قبل أن أكتشف الفكرة الأكيدة والأساسية، وهي أن أكون ذاتي، وأنني لا يمكن أن أكون غير ذاتي»[1].

وقد كان النبي ﷺ يربي صحابته ﭫ على الحفاظ على التميز والتنوع والتباين في الميول والإمكانات واستثمارهما الاستثمار الأمثل في خدمة الإسلام والمسلمين، فيقول ﷺ: **«أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأشدهم في دين الله عمر، وأكثرهم حياءً عثمان..»**[2].

ولذا فقد وجدنا منهم ﭫ الخليفة كأبي بكر وعمر، والقائد العسكري الفذ كخالد وعمرو، والعالم الفقيه كابن عباس وابن مسعود ﭫ أجمعين. فالأمة تحتاج جميع التخصصات لكي تقوم

---

(١) (كيف تتعامل مع الناس) ديل كارليجي، ص (١٨).

(٢) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت... رقم: ٣٧٢٣، ٣٧٢٤. وابن ماجه، في المقدمة، باب فضائل خباب رقم: ١٥١. والإمام أحمد في مسنده، رقم: ١٣٤٧٩. وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، رقم: ٨٩٥.

وتنهض وتستأنف حياتها الإسلامية من جديد، فالحياة تؤسس بنيانها الرسالة النبوية، ويرفع عمدانها رجال تكاملت توجهاتهم وتخصصاتهم؛ فمنهم الدعاة والقضاة والمربون والأدباء والمفكرون والصناعيون والاقتصاديون والمهندسون والإداريون.

(٢) الاستخارة والدعاء:

فما ندم من استخار، فعليك أن تستخير الله تعالى وتدعوه سبحانه وتعالى في سجودك أن يهديك ويوفقك إلى تخير التخصص الذي تستطيع أن تنبغ فيه وتحقق من خلاله رسالة المؤمن المتفرد، فهو سبحانه العليم بما يصلح عبده. يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «**كان رسول الله ﷺ يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها**»[(١)].

قال الإمام الشوكاني رحمه الله معلقًا على هذا الحديث: «هذا دليل على العموم، وأن المرء لا يحتقر أمرًا لصغره وعدم الاهتمام به فيترك الاستخارة فيه..»[(١)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الجمعة، باب ما جاء في التطوع مثنى مثنى، رقم: ١٠٩٦، وكتاب الدعوات، باب الدعاء عند الاستخارة، رقم: ٥٩٠٣.

(١) (نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار)، للشوكاني (٣/ ٧٢).

فإذا كان الدعاء والاستخارة مشروعين حتى في صغار الأمور،فما بالنا برسالة ستبني عليها حياة الإنسان بكاملها.

(٣) الاستشارة:

قال تعالى: ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨].

كان سيد النبيين ﷺ وصاحب أرجح عقل وجد على ظهر الأرض عليه الصلاة والسلام، يستشير أصحابه ﵃ في كل أحواله كما ورد في غزوة الخندق، حيث سارع النبي ﷺ بمجرد علمه بتجمع قبائل العرب في جيش قدره عشرة آلاف مقاتل إلى عقد مجلس استشاري أعلى، تناول فيه الدفاع عن كيان المدينة، وبعد مناقشات جرت بين القادة وأهل الشورى اتفقوا على قرار قدَّمه الصحابي الجليل سلمان الفارسي ﵁؛ حيث قال: كنا بأرض فارس إذا حوصرنا خندقنا علينا. فأسرع النبي ﷺ إلى تنفيذ هذه الخطة[٢].

فما بالنا بمن هو دونه ﷺ في كل شيء من أمثالنا؟!

فاحرص أيها المؤمن على استشارة من هم أكثر منك خبرة وأكبر منك سنًّا من إخوانك المؤمنين في دائرة معارفك المقربين،

---

(٢) (الرحيق المختوم)، المباركفوري، ص (٤٧٠).

وتعرف على رأيهم في تحديد ميولك وإمكاناتك من خلال قربهم واحتكاكهم بك حتى تستطيع أن تحدد التخصص المناسب لك.

والاستشارة أخية الاستخارة؛ وقد قيل: «ما ندم من استخار، ولا خاب من استشار».

(٤) امتلك القدرة على قول لا:

لا

فلا تقبل أبدًا أن يفرض عليك التخصص من الخارج ما دمت غير مقتنع بذلك التخصص وغير راغب فيه؛ لأنك لن تستطيع تحقيق التفوق والنجاح المتميز في شيء لا تحبه ولا يتوافق مع ميولك وإمكاناتك.

وكثير من الطلبة على سبيل المثال عندما يحصل على مجموع عالٍ في الثانوية العامة؛ فإن أهله يرغمونه على دخول كلية بعينها بحجة أنها تتناسب مع ذلك المجموع، ولا يحسبون أي حساب لميول ابنهم وإمكاناته؛ وبالتالي يقتلون بذور التفوق فيه، ويمضي العمر بالإنسان ويتحول إلى شخص عادي جدًّا في ذلك التخصص الذي أجبر عليه، ولو ترك إلى التخصص الذي تميل إليه نفسه ويتوافق مع إمكاناته لأصبح من النابغين فيه.

ويحكي لنا روجر ميلر الكاتب الإداري المشهور موقفًا مشابهًا

لهذا فيقول: «منذ عدة سنوات قابلت شخصًا يدعى توم في إحدى حلقات الدرس التي عقدتها في الجامعة، وعندما طلبت منه أن يقدم نفسه، ويتحدث عن أهدافه رد بأنه يدرس الهندسة المدنية، وفي أثناء الدرس طلبت منه أن يقول للحاضرين: ماذا سيفعل لو كان لديه شهر بدون التزامات وبموارد مالية غير محدودة؟

أضاء وجهه بالفرحة وأجاب بحماس سهل جدًّا: سأشتري منشارًا وألواحًا وبعض الأدوات الأخرى وسأضع كل ذلك في الجراج الخاص بي، ثم أجمع كل أطفال الحي وأشترك معهم في صنع الكثير من الأشياء؛ طاولات وبيوت صغيرة وأثاث، سيكون ذلك رائعًا.

عندما لاحظت عينيه اللامعتين تذكرت اللامبالاة التي ذكر بها دراسته الجامعية في الهندسة منذ لحظات.

سألته: هل تحب أن تُدَرِّس؟

رد ببساطة: أنا أحب التدريس.

- وهل تحب العمل بالأدوات؟

- بكل تأكيد.

- كيف تستمتع بتدريسك الهندسة؟

- لا أدري، هناك دَخْل طيب من تدريس الهندسة (قالها

بصوت منخفض).

قلت له: اسمع يا توم، هل تعلم أن أولئك الذين يعلمون الأطفال "كيف يبنون الأشياء باستخدام الأدوات" يحصلون على دَخْل طيب؟

لقد كان مثيرًا أن ألاحظ ملامح وجهه، فمن الواضح أن قراره بدراسة الهندسة لم يكن ناتجًا عن اتصال بالذات من الداخل، أي دون اتصال بمواهبه وضميره وإحساسه بلا قدرة على العطاء، ولكن الآن عندما اتصل بذاته من الداخل حتى بشكل سريع، وعندما رأى الفرصة لتحقيق ما يميزه ويتفرد به هو أصبح مشحونًا بالطاقة، وقد يصبح توم مهندسًا عاديًّا ذات يوم، ولكن الواضح أن فرصته هائلة في أن يصبح معلمًا متميزًا في ورشة نجارة؛ لأنه يحب أعمال النجارة ويحب تعليم الصغار، وهنا سيعطي التأثير الأكبر»[1].

❊ ❊ ❊

(١) (إدارة الأولويات الأهم أولًا)، ستيفن كوفي وزملاؤه، ص (١٦٠، ١٦١).

الرسالة العائلية

وكما طالبناك أيها المؤمن بوضع رسالتك الشخصية، فإننا نريد منك أن تكون أكثر إيجابية وتتقدم خطوة أخرى على طريق الفاعلية، وذلك بأن تشترك مع أسرتك كلها في كتابة وثيقة أهداف عائلية تكون كالدستور الأساسي الذي يجب على الجميع مراعاته في تصرفاتهم اليومية تجاه بعضهم البعض وتجاه الآخرين، على أن يستمد ذلك من شرع الله، ويصب في مصلحة تقوية بناء الأسرة ككل.

وذلك امتثالًا لقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].

ولابد أن نعلم هنا أن عملية التفكير والمشاركة الجماعية لكل أفراد الأسرة أثناء صياغة هذه الوثيقة لا تقل في أهميتها عن أهمية الوثيقة نفسها، فلابد أن يشارك الجميع في صياغة هذه الرسالة بجدية، وأن يناقشوا أفكارها معًا بحرية تامة حتى تأتي معبرة عن حقيقة مشاعرهم وآرائهم، فلا تكون مفروضة عليهم. ومن ثم يتولد لديهم حافز قوي للتفاعل معها وتنفيذ ما جاء فيها.

كما أن عملية المشاركة هذه تفتح قنوات الاتصال بين أفراد

الأسرة جميعًا، وهذا في حد ذاته مكسب كبير، وهو بداية طيبة للتعاون بين أفراد الأسرة فيما يخصهم من أمور ومشكلات.

ولابد أيضًا أن يكون هناك اجتماع دوري بين أفراد الأسرة لمراجعة الرسالة العائلية، لمتابعة مدى الالتزام بها، ومناقشة ما يستجد من أمور قد يحسن تعديلها أو إضافتها للرسالة بما يتواكب مع حاجات الأسرة المتطورة، ما يكون له أثر فعال في تحقيق أهداف للأسرة قد يعجز عن تحقيقها كل فرد على حدة.

وبعد ذلك تصبح هذه الرسالة بما فيها من أهداف ومبادئ دافعًا لتحقيق كل فرد من أفراد الأسرة لرسالته الشخصية، لاسيما في الجانب العائلي أو الأسري[1].

❊ ❊ ❊

(١) (العادات السبع لأكثر الناس فعالية)، ستيفن كوفي، ص (١٩١ – ١٩٣).

رسالة المؤسسات

لابد للمؤسسات أيضًا من رسالة خاصة بها، وأية مؤسسة أو شركة عالمية ناجحة لها رسالة واضحة محددة تبرر سبب إنشائها ووجودها، وما الذي تريد أن تحققه هذه المؤسسة، فيجتمع مجلس الإدارة قبل إنشائها ويمكثون الأيام بل الأسابيع وأحيانًا الشهور في الإجابة على هذا السؤال: ما سبب وجودنا كمؤسسة؟

وتأمل معي في هذه المؤسسات الضخمة وكيف أن كل مؤسسة تهتم اهتمامًا بالغًا بوضع رسالة لها:

شركة «مايكروسوفت» كبرى الشركات في العالم اليوم، أنشئت سنة ١٩٧٥م من قبل بيل جيتس وصاحب طفولته بول إلين وبربحية سنوية حالية تتعدى الثمانية والعشرين مليار دولار، رسالتها هي «نكافح من أجل أن نبدع منتجات وخدمات لتحقيق حاجة عملائنا»[١].

شركة «ياهو» كبرى شركات الإنترنت، أنشأها ديفيد فيلو وجيري يانك عام ١٩٩١م، رسالتها هي «تقديم مركز معلومات لمستخدمي الإنترنت عن مواقع الإنترنت بسهولة وكفاية.

وإليك الآن هذا المثال الرائع لرسالة المؤسسات تقدمها لنا

(١) (كيف تخطط لحياتك)، د. صلاح صالح الراشد، ص (٥٩).

شركة IBM العملاقة للكمبيوتر، ففي جميع مكاتب الشركة ومصانعها وفروعها تجد هذه الرسالة معلقة: (كرامة الفرد، التفوق في العمل، الخدمة الجيدة).

هذه المبادئ ثابتة لا تتغير مهما تغيرت الظروف والأحوال، وقد أدى ذلك لأن يشعر جميع أفراد الشركة بالأمان والثقة في القيم المشتركة بينهم وبين قياداتهم.

وفي إحدى المرات بينما أوفدت الشركة عشرين عاملًا من موظفيها إلى نيويورك لخوض دورة تدريبية بهدف رفع الكفاءة مرض أحد العاملين، فتحدث هاتفيًا إلى زوجته في كاليفورنيا، وقد أبدت زوجته انزعاجًا شديدًا لأن مرضه يتطلب عناية خاصة، فنقله المسئولون عن البرنامج التدريبي إلى إحدى المستشفيات الممتازة لتلقي العلاج من الاختصاصيين.

ولكن هؤلاء المسئولين شعروا بأن زوجته غير راضية تمامًا عن ذلك؛ لأنها تشك في أنه سينال الرعاية الكافية في المستشفى بعيدًا عنها وعن طبيبه الشخصي الذي تعود عليه، فما كان من المسئولين إلا أنهم نقلوا العامل من نيويورك إلى كاليفورنيا بطائرة خاصة حتى يكون مع زوجته وطبيبه الخاص، ورغم أن هذا

العمل قد كلَّف الشركة أموالًا طائلة إلا أنه كان تطبيقًا عمليًّا لشعار الشركة وهو الاهتمام بكرامة الفرد، ما أكد لجميع العاملين أن الشركة تعني حقًا ما تقول، وأنها تهتم فعلًا بكرامة كل فرد فيها، ما زاد من تفانيهم وإخلاصهم في العمل وأدى إلى مضاعفة أرباح الشركة[1].

لكل هذا فإننا ندعو صاحب كل مؤسسة حتى لو كانت محلًّا صغيرًا للبقالة إلى أن يضع لمؤسسته هدفًا واضحًا، وسوف يفاجأ بالنتائج والأرباح، فهذا «والتون» صاحب أكثر المحلات شهرة في الولايات المتحدة الأمريكية، بدأ فكرة بقالة وول مارت سنة ١٩٥٢م، فوضع لها رسالة هي: «أسعار منخفضة للعملاء، وقيمة مرتفعة للمنتجات» فصار اليوم من أغنى الرجال في العالم[2].

ونذكرك هنا أيضًا كما فعلنا في رسالة العائلة، أن تكون رسالة المؤسسة موضوعة بصورة جماعية، بحيث يشارك في وضعها جميع مستويات العاملين بالشركة حتى تكون نابعة منهم وتعطيهم الحافز القوي على الالتزام بها وتحويلها إلى واقع عملي ملموس،

---

(١) (العادات السبع لأكثر الناس فعالية)، ستيفن كوفي، ص (١٩٤، ١٩٥).
(٢) (كيف تخطط لحياتك؟)، د. صلاح صالح الراشد، ص (٦١).

فبدون المشاركة لا يوجد التزام، أما إذا شارك كل العاملين في وضع رسالة المؤسسة فإن التزامهم بتحقيقها سيكون نابعًا عن ذواتهم، ولا يحتاج إلى أدنى رقابة من الإدارة.

ويحكي لنا ستيفن كوفي تجربة شيقة تبيِّن لنا أثر مشاركة العاملين في وضع رسالة المؤسسة على مدى التزامهم بتحقيقها، فيقول: «كان مقررًا أن أدرب ١٧٥ من مدراء أحد مراكز التسوق في فندق ما، لقد انتابتني الدهشة إزاء مستوى الخدمة هناك، التي لم تكن لمجرد التجمل، بل كانت واضحة على جميع المستويات، وتتم تلقائيًّا دونما أي إشراف، كنت قد وصلت متأخرًا كثيرًا، وبعد حجز غرفتي تساءلت عما إذا كانت خدمة الغرف متاحة آنذاك، أجابني موظف الاستقبال قائلًا: «لا يا سيد كوفي، ولكن إذا رغبت بإمكاني الذهاب وإحضار شطيرة أو سلطة أو أي شيء ترغب فيه مما يكون موجودًا في المطبخ».

كان تصرفه تعبيرًا عن الاهتمام الكامل براحتي وسعادتي، وأضاف قائلًا:

«هل تريد أن ترى غرفة المحاضرات؟ هل كل ما تطلبه موجود؟ ماذا يمكن أن أقدمه لك؟ إنني هنا في خدمتك. لم يكن هناك أي مشرف ليراقب الوضع، كان الرجل مخلصًا في عمله.

بعد ذلك شاهدت أحد العمال ممتطيًا قمة سلم لتنظيف نوافذ البهو، ومن موقعه المتميز رأى سيدة عجوز تتعثر في سيرها على ممشى الحديقة غير أنها لم تسقط على الأرض، ومع أنها كانت تسير بصحبة آخرين، فقد سارع الرجل إلى الهبوط من السلم، وخرج إلى الحديقة حيث ساعد المرأة حتى دخلت إلى البهو، واطمأن إلى أنها تلقى العناية اللازمة قبل أن يصعد السلم مرة أخرى لاستئناف تنظيف النوافذ

اهتممت أن أعرف كيف تمكنت هذه المؤسسة من خلق هذه الثقافة التي اعتنقها هؤلاء الأشخاص من أعمق أعماقهم فيما يتعلق بخدمة النزلاء، لذا قمت بمناقشة كل من وجدته من العمال سواء كان خادمًا للغرف أو نادلًا أو حتى ساعيًا في هذا الفندق، ووجدت أن هذا التوجه قد تغلغل في عقول وقلوب وسلوكيات كل الموظفين هناك، ومضيت في بحث وراء الأبواب الخلفية إلى المطبخ، وعثرت على رسالة هذه المؤسسة، وهي «خدمة ذاتية مثالية».

وأخيرًا توجهت إلى المدير وسألته: «إن عملي ينصب على مساعدة المؤسسات لنشر وعي قوي للعمل بروح الفريق وثقافة الفريق، غير أني مندهش لما وجدته عندكم»

سألني: هل تريد أن تعرف أين يكمن المفتاح الحقيقي؟

قلت: نعم؛ فأعطاني رسالة المؤسسة لأقرأها، أعربت له بعد قراءتها عن أنها رسالة رائعة، وسألته:

من الذي وضع هذه الرسالة؟

فقال: كل فرد هنا.

كل فرد هنا؟!

نعم.

خدم الغرف؟!

نعم.

السعاة؟!

نعم.

موظفو الاستقبال؟

نعم.

فهذا هو الفرق بين فاعلية رسالة أوجدها كل شخص في المؤسسة، وبين الأخرى التي حررتها فئة محدودة من نخبة المدراء من خلف جدران عاجية»[1].

---

(١) (العادات السبع لأكثر الناس فعالية) ستيفن كوفي، ص (١٧٩ -١٨٢) بتصرف.



(١) إن كتابتك «لسيناريو» حياتك يعني صياغة ثلاثة أجزاء:

- **الرسالة:** هدف سامٍ، ومهمة نبيلة تعيش من أجلها.
- **الرؤية:** أقصى طموحٍ واقعي يمكنك تحقيقه لأداء رسالتك.
- **الأهداف:** النتائج المرحلية التي توصلك إلى تحقيق رؤيتك.

(٢) الرسالة تضمن لك السعادة، والرؤية تضمن لك النجاح.

(٣) الإنسان الفعَّال حقًّا هو الذي يجعل المبادئ القويمة مركزًا لاهتماماته ومنطلقًا لرسالته.

(٤) للمؤمن رسالة محددة لا خيار له فيها، وهي: إرضاء الله تعالى من خلال صناعة الحياة بهذا الدين.

(٥) أنت مخير في صورة الرسالة، فلابد أن تختار المجال الذي ستصنع الحياة من خلاله لإرضاء الله تعالى.

ويساعدك على هذا الاختيار:

- لا تكن غير نفسك، واحذر التقليد الأعمى.
- الاستخارة والدعاء.
- الاستشارة لذي خبرة قريب منك.
- امتلك القدرة على قول «لا» لمن يفرض عليك ما لا يتوافق مع إمكاناتك وميولك.

مصابيح على درب الفاعلية[1]

(١) مؤسس علم البصريات:

ابن الهيثم رحمه الله (٩٦٥ – ١٠٣٩ م)

اسمه محمد بن الحسين بن الهيثم، اشتهر في مصنفات الغربيين في العصور الوسطى باسم الهازن (AL-Hazan)، ولد في مدينة البصرة بالعراق، درس الطب والفلك والهندسة والرياضة والطبيعة.

أهم مؤلفاته في البصريات كتاب «المناظر»، الذي بقي مرجعًا لهذا العلم في أوروبا حتى أواخر القرن السابع عشر، ودرس فيه نظرية انكسار الضوء وانعكاسه في البيئات الشفافة كالماء والهواء والذي كاد فيه أن يتوصل إلى المبدأ الطبيعي الذي يقوم عليه المجهر والمرصد (المنظار المكبر والمنظار المقرب).

---

(١) هذا الفصل مستفاد من الكتب الآتية:

١ – (موسوعة المشاهير)، مجدي سيد عبد العزيز.

٢ – (تاريخ الحضارة عبر أعلامها)، د. محمد جمال طحان.

٣– (الحضارة الإسلامية بأقلام عربية وغربية)، عبد التواب يوسف.

له مؤلفات في المكتبة الأهلية في باريس، ومخطوطات يعالج فيها فروعًا للهندسة، وله مخطوطات في مكتبتي ليدن وبودلي في أكسفورد، وله ٤٣ كتابًا في الفلسفة والطبيعة، و٢٥ كتابًا في العلوم الرياضية، و٢١ كتابًا في الهندسة، و٢٠ كتابًا في الفلك والحساب.

وقد ذكر أن مجموع ما وصل إلينا من كتبه قد بلغ مائتي كتاب، وكان يفتتح كل كتبه رحمه الله بهذه الجملة الرائعة: (أنا ما دامت لي الحياة فإني باذل جهدي وعقلي، مستفرغ طاقتي في العلم لثلاثة أمور:

١ـ إفادة من يطلب العلم في حياتي وبعد مماتي.

٢ـ ذخيرة لي في قبري ويوم حسابي.

٣ـ رفعة لسلطان المسلمين).

وكفى بهذا المشهد وضوحًا في عقل وفكر وقلب رائد البصريات؛ حجرًا يبني في نهضة الأمة ورسالة يحيا من أجلها.

(٢) الرسالة البخارية:

الإمام البخاري رحمه الله

يقول رحمه الله: كنت عند إسحاق بن راهويه فقال بعض أصحابنا: (لو جمعتم كتابًا مختصرًا

لسنن النبي ﷺ)، فوقع ذلك في قلبي، فأخذت في جمع ذلك الكتاب.

(خدمة سنة النبي ﷺ) رسالة نذر البخاري نفسه لها منذ العاشرة من عمره، ومن ثم فقد رزقه الله تعالى برؤيته في هذا المجلس المبارك رؤية انطلق يحققها على بساط الحياة يجوب الأرض منطلقًا من مسقط رأسه بخارى، يجمع أحاديث النبي ﷺ، ثم رحل إلى بلخ ثم مرو ثم نيسابور ثم قدم العراق وتنقل بين مدنها، ثم انطلق إلى مكة فالمدينة ثم أكمل رحلته فعرج على مصر ثم الشام.

يقول رحمه الله: (صنفت الصحيح في ست عشرة سنة)، ويقول: (أخرجت هذا الكتاب من زهاء ستمائة ألف حديث).

وكان رحمه الله آية في قوة الحفظ والذكاء، يقول عن نفسه: (أحفظ مائة ألف حديث صحيح ومائتي ألف حديث غير صحيح).

(٣) الرسالة النووية:

الإمام النووي رحمه الله

(وبقيت سنين لم أضع جنبي على الأرض، إذا غلبني النوم أسندت رأسي إلى الكتب لحظة وأنتبه).

هكذا كان نومه وهكذا كانت حياته، إنه بحق نووي الطاقة، اسمه كرسمه، تنبعث إشعاعات كيانه من نتاجه وإنشائه فتظهر آثارها على كتبه، كلما اقتربنا منها بأجهزة القياس للإشعاعات النووية عبر مئات السنين ومؤشر عداد الإشعاعات ينبئك عن روح صاحبها المتدفقة عبر الزمان على صفحات وأوراق الكتب ببلوغ أقصاها عند الاقتراب.

رسالة تغمر الكيان وتبخل عليه في سبيل تحقيقها بأكثر من لحظة نوم يعقبها انتباهة طويلة، عنوان هذه الرسالة: (لا وقت إلا في طاعة)، (تعليم الناس سنة الحبيب).

الأولى: يجسدها مشهده الذي يقصه الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي فيقول رحمه الله: (رأيت الشيخ محيي الدين وهو ابن عشر سنين بنوى والصبيان يكرهونه على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكي لإكراههم إياه، ويقرأ القرآن في تلك الحال، فوقع في قلبي محبته).

هذا أولًا، وكذا ختامها فقد توفي- رحمه الله- وله من العمر أربع وأربعون سنة ولم يتزوج في حياته لانشغاله بهدفه انشغالًا كاملًا.

والثانية: تدرج في تقريب السنة لقلوب الناس، وها هو يخطو في ذلك خطواته الثابتة، فيبدأ بتأليف وجمع «الأربعين النووية»، ثم يصعد سلم الإكمال فيتبعه بـ«رياض الصالحين»، ثم يختمه بشرح صحيح مسلم، قالوا: لو وزعنا عدد الصفحات التي ألفها الإمام على أيام حياته بفرض أنه بدأ التأليف منذ كان عمره عشر سنين لبلغ ذلك أنه يكتب في اليوم الواحد أربع كراريس، أي بمعدل أربعين صفحة. فهنيئًا للإمام- رحمه الله- وضوح رسالته ورسوخ رؤيته ونجاح أهدافه.

(٤) نفرة بلا قعود:

أبو الخيرات محمد الفاتح

(عن قريب سيكون لي في القسطنطينية قبر، أو يكون لي فيها عرش).

بهذه الكلمات اختتم السلطان العثماني أبو الخيرات محمد بن مراد الفاتح مفاوضاته التي انتهت إلى طريق مسدود مع الإمبراطور قسطنطين لتسليم القسطنطينية.

شابٌّ في الثانية والعشرين من عمره يمتلك هذا الإصرار وذاك الثبات، تُرى من أين نشأ ذلك؟

تعال معنا إلى الوراء قليلًا: الشاب ذاته في السابعة من عمره يوقفه شيخه «آق شمس الدين» على الساحل المطل على أسوار القسطنطينية ثم يشير بيده وهو يقترب بفيه من أذنه فيلقي على سمعه بهذه الكلمات النبوية الجليلة: **«لتفتحن القسطنطينية، فلنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش»**[1].

ويتكرر المشهد يومًا بعد يوم بين الشيخ وتلميذه حتى يترسخ في عقل وقلب الأمير الشاب عنوان رسالته في الحياة (إعلاء كلمة الله تعالى بالجهاد في سبيله ونشر كلمته)، ثم ها هو يرسم معالم رؤيته لتحقيق رسالته فيرى أولًا فتح القسطنطينية، ثم ما وراءها من بلاد أوروبا التي تقف القسطنطينية حاجزًا بينه وبينها.

ويصوغ أهدافه في مراحل لإعداد القوة والعدة بتمامها وكمالها من عدة عسكرية عبر جمع الأسلحة اللازمة، وبناء المدافع الكبيرة، ثم الاهتمام بالأسطول حتى بلغ عدد سفنه ٤٠٠ سفينة.

وعلى صعيد آخر عقد المعاهدات مع جيران القسطنطينية من أعدائه ليأمنهم عند الحرب- وإن كانوا قد قاموا بنقض العهد

(١) رواه أحمد في مسنده برقم ١٨١٨٩. والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، وضعف الألباني إسناده في السلسلة الضعيفة، رقم: ٨٧٨.

حين بدأ القتال- ثم كان الهجوم على القسطنطينية الذي سخر له كل الطاقات والإمكانات، فيفتح الله القسطنطينية على يديه وتتحقق النبوءة النبوية فيه.

ويستمر في السعي لتحقيق أهدافه، فلما بلغ من العمر خمسًا وعشرين سنة كان قد فتح بلجراد، وفي سن السابعة والعشرين أتم فتح أثينا وبلاد اليونان، وفي سن الثامنة والعشرين أكمل السيطرة على شبه جزيرة المورة، ولما أتم الحادية والثلاثين ضم رومانيا إلى الإمبراطورية العثمانية، ثم أتبعها بالبوسنة في السنة التالية.

(٥) الريادة مطلبي:

أبو الجبر الخوارزمي (٧٧٥ - ٨٤٧م)

رياضي وجغرافي وفلكي

أبو عبد الله محمد بن موسى، ولد في خوارزم وأقام في بغداد في عهد الخليفة العباسي المأمون.

اطلع على هندسة الإغريق واليونان وحساب الهنود، وأوجدت عبقريته فيهما علم الجبر بشكل مستقل عن الحساب، وهو واضع أسس حساب اللوغاريتمات، فعرف علم الحساب

عدة قرون باسم اللوغاريتم Logarithm واللوغاريتم هو الحساب الذي يحول عمليات الضرب إلى جمع، وعمليات القسمة إلى طرح.

من مؤلفاته علم الجبر والمقابلة وكتاب الحساب، وله فضل في نقل الأعداد الهندية إلى العرب والتي انتقلت عنهم إلى أوروبا، ومن أهمها الصفر، وفي حساب المثلثات وضع ما أسماه (السند هند الصغير) جمع فيه بين مذاهب الفرس والهنود ومذهب بطليموس فكان مرجعًا للعلماء من بعده.

بالإضافة إلى أنه وضع طريقة تطبيقية لمعرفة مساحات المسطحات ومساحة الدائرة، وتوصل إلى حساب أحجام بعض الأجسام كالهرم الثلاثي والهرم الرباعي، كما قام بحل معادلات الدرجة الثانية بطرق هندسية، ونشر أول الجداول العربية عن المثلثات للجيوب والظلال، ترجمت إلى اللاتينية في القرن الثاني عشر الميلادي، ويعتقد أنه اشترك في قياس محيط الأرض أيام المأمون، كما أدخل تحسينات جوهرية على جغرافية بطليموس ونشر كتاب صورة الأرض.

لو أردنا وصفًا أدق لرسالة الخوارزمي لما أدركنا صورة تشهد

بملامح نفسية هذا الرجل، من هذه العبارة «الريادة مطلبي» فإن له في كل مجال علمي إسهامًا فريدًا.

لقد رأى في نفسه مشهد العبودية لله بالعلم فمضى يضع العلوم يؤسسها ويرتاد لنفسه فيها مقامًا عاليًا، أنشأ علم الجبر فاقترن باسمه ونال لقب "أبو الجبر"، ثم أتبعه بابتكار حساب اللوغاريتمات، علمان كان الغرب يتحدث عن معادلاتهما بلغة الاستحالة والطلاسم.



وللآخرين نصيب

(١) حدَّدَت وَرَأَتْ فانطلقت بلا توانٍ... فكانت:

هيلين كيلر

بعد ولادتها بخمسة أشهر أصيبت هيلين بالتهاب في الدماغ فقدت معه السمع والبصر معًا، وبعد انقضاء أربعة عشر ربيعًا مظلمًا عليها قالت بكل ثقة: (سأذهب إلى جامعة هارفرد ذات يوم)، وقد كان ما أرادت.

(عمل الحياة) كانت هاتان الكلمتان هما عنوان حياة هيلين كيلر، هذه الفتاة فاقدة السمع والبصر، لقد صممت على أن تخرج من ضيق ظروفها إلى استخدام ما يراه الجميع مبررًا لقعودها بجعله سببًا لانطلاقها، تقول عن نفسها: (دفعني إلى ذلك شوقي إلى السباق مع الفتيات المبصرات والسامعات).

لقد فاجأت أصدقاءها في مدرسة كامبردج للبنات بقولها: (سأذهب إلى الجامعة ذات يوم)، وقد تحققت أحلامها حلمًا تلو الآخر، وانتقلت من معهد بوسكن إلى مدرسة الصم والبكم بنيويورك إلى مدرسة كامبردج للبنات إلى جامعة كامبردج في هارفرد، وكان ذلك في خريف عام ١٩٠٠م، ثم تخرجت في

الجامعة ١٩٠٤م بدرجة ممتاز، وألفت كتابها الأول (قصة حياتي) التي كانت درسًا في الإرادة للإنسان في كل مكان، وترجم إلى خمسين لغة منها العربية، ثم ألفت كتابها الثاني (عالمي الخاص) عام ١٩٠٨م، وأعقبتهما بكتابيها (السلام عند المساء) ١٩٣٨م، و(ليكن لنا إيمان) ١٩٤١م.

مارست كيلي (العمل للحياة) طوال حياتها الفعالة؛ لأنها كانت تجهز نفسها للقيام به منذ طفولتها، واستمرت تقوم بهذه الرسالة حتى وافتها المنية في حزيران يونيو ١٩٦٨م.

(٢) فرد يحرر أمة:

(لا تعاون مع المستعمر)

هذا هو غاندي، هكذا كان وهكذا عاش، عاش لتحرير بلاده من المحتل وكان شعاره ورؤيته في ذلك (لا تعاون مع المستعمر)، فلقد فهم أن هذا المستعمر ليس له أن يستقر في بلاده ما لم يجد من يتعاون معه من أهل البلاد، سواء عن خيانة أو تحت ضغوط الحياة والرغبة في العيش، ولذا كان إعلانه سياسته في طرد المستعمر من بلاده بألا تعاون معه، وليحفظ دماء شعبه وليصوغ مبادئه وأفكاره.

ولد غاندي عام ١٨٦٩م وتلقى تعليمه في الهند ولندن، وفي

عام ١٨٨٩م سافر إلى جنوب أفريقيا للدفاع عن حقوق الهنود بها، ثم عاد إلى الهند عام ١٩١٥م ليبدأ كفاحًا طويلًا ضد الاستعمار البريطاني، وضرب بنفسه مثلًا واضحًا بعث من خلاله برسالة جلية لبيان رؤيته لطرد المستعمر، فجعل يغزل ثيابه بيده ويعتمد في طعامه على لبن عنزته وزرع يديه، وبذا وصلت الرسالة واضحة.

ماذا يريد الرجل غير كساء يستر بدنه وغذاء يشبع جوعه؟! وقد فهم الشعب الهندي الرسالة وانطلق يتفاعل مع رؤية غاندي لطرد المستعمر من بلاده، فكان الهنود هم أول شعب يفرض حصارًا اقتصاديًّا على مستعمره.

ثم كانت حادثة الملح الشهيرة عام ١٩٣٠م، حيث قاد غاندي مظاهرة عارمة من بيته إلى شاطئ البحر، حيث الملاحات الحكومية التي احتكرت صناعة الملح منها الحكومة الهندية التابعة للمستعمر، فقام غاندي ومن معه بجمع الملح ونقله مجانًا إلى الناس، وقد جن جنون المستعمر وسجن الكثير ولكن لا جدوى، فقد قامت الثورة وشعر الناس بقيمتهم.

ومع نشوب الحرب العالمية الثانية ١٩٣٩م رفع غاندي شعار: (اتركوا الهند)، وفي عام ١٩٤٨م بعد سنين من الكفاح

رحل الإنجليز بلا عودة وتحقق الاستقلال، وفي العام نفسه مات غاندي، وكأنه ما كان ليبرح الدنيا قبل الاستقلال في ٣٠ يناير ١٩٤٨م.

(٣) حتى هذا له رسالة :

إبليس

لقد ارتسمت واضحة في ذهنه منذ اللحظات الأولى التي شاهد فيها تكريم الله تعالى لآدم عليه السلام، ولكنه آثر الانتظار في إعلانها حتى يأتي أوان اللحظة المناسبة ويتأكد الأمر، فلما حسم الأمر وبان وجهه انطلق يعلنها على الملأ متبجحًا بجرأة ووضوح يرسم معالمها رسالة ورؤية وأهدافًا.

رسالة تنبع من أعماقه: ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾[ص: ٨٢]، ورؤية تجسد رسالته: ﴿ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ ﴾ [النساء: ١١٩]، وأهدافًا ينطلق لتنفيذها: ﴿ قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴾[الأعراف: ١٦، ١٧].

❋ ❋ ❋



وماذا بعد الكلام؟

«عندما تكتب رسالتك عشها لحظة بلحظة في عروقك ودمائك وخيالك، وحدد وقتًا للبدء ووقتًا للنهاية، انقشها في قلبك وعقلك، ثم أنزلها في واقعك، فهي روح صناعة النجاح»

د. طارق السويدان

أيها المؤمن حانت بداية العمل، نريد منك الآن أن تتبع الخطوات الآتية حتى تصل إلى وضع رسالتك الخاصة بك إن شاء الله تعالى، فهل أنت مستعد لذلك؟

تقول: نعم. إذن فلنبدأ على بركة الله.

(١) توضأ وصلِّ ركعتين ثم اجلس مبتهلًا إلى ربك أن يهديك إلى التخصص المناسب لك الذي ستصنع من خلاله الحياة بهذا الدين.

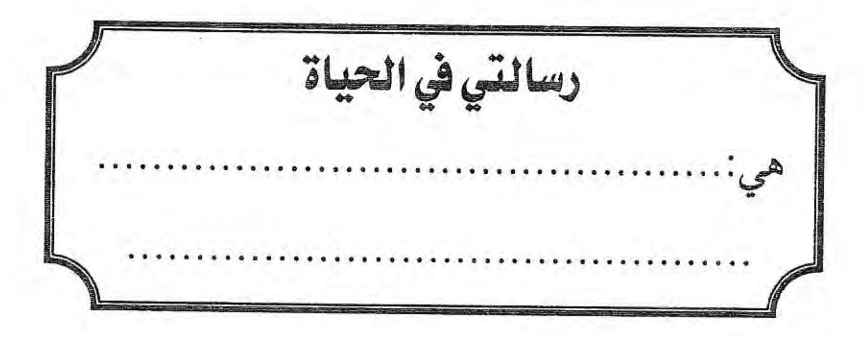
(٢) اجلس مع نفسك جلسة متفردة لمدة ساعة، واكتب فيها ميولك وإمكاناتك.

(٣) استشر ناصحًا، واعرض عليه ما كتبت.

(٤) حدد رسالتك تبعًا لما سبق.

(٥) صلِّ صلاة الاستخارة، واستخر فيها الله تعالى على النتيجة التي وصلت إليها.

(٦) والآن اكتب رسالتك هنا:



والآن نهنئك فقد بدأت أولى خطواتك على طريق الفاعلية

واصل معنا السير تصل بإذن الله

* * *

فسالت أودية بقدرها

«العالم بأسره يفسح الطريق للشخص الذي يعرف وجهته»

رالف والدو إميرسون

إذا كنا قد اتفقنا أن نقطة البدء في رحلة النجاح والفاعلية أن تدرك رسالتك في الحياة، والهدف العام الذي ينبغي أن تصرف فيه حياتك، وهو: «**إرضاء الله تعالى من خلال النجاح في تخصصك**»، فإن هذه الرسالة العامة لا يمكن أن تتحول إلى واقع عملي إلا إذا تم تحويلها إلى رؤية واضحة تمتد لتشمل جميع جوانب حياتك، تمامًا كمياه الأنهار والأمطار لا يمكننا أن ننتفع بها إلا بعد أن تتوزع في قنوات صغيرة، بعد أن كانت في مجرى واحد.

كما قال الله تعالى: ﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا ﴾[الرعد: ١٧].

إن تحديد الرؤية المستقبلية لهو من الأهمية بمكان، ولئن كانت الرسالة هي البوصلة التي تحدد اتجاهنا، فإن الرؤية هي الخريطة التي ترسم لنا المسار (فعند وضوح الرؤية يتحدد الهدف، وبتحديد الهدف يتحدد المسار[١]).

---

(١) (صناعة القائد)، د. طارق السويدان والأستاذ فيصل باشراحيل، ص (٧٢).

وعندما نفتقد الرؤية الواضحة فإننا نعيش أسرى اللحظة الآنية (بحيث لا نفكر إلا فيما نزرعه اليوم لنحصده في الغد ونأكله في اليوم الثالث)[1].

لذلك أيها المؤمن؛ تعال لنستعرض معًا أهم تلك الجوانب الحياتية التي ينبغي أن تتوزع عليها رسالتك، وذلك بتحديد رؤيتك في كل جانب من هذه الجوانب، وبالتأمل والاستقراء يمكننا أن نحدد عشرة جوانب أساسية ينبغي أن تتوزع عليها أهدافنا في الحياة لكي تكتمل تأديتنا لرسالة المؤمن.

هذه الجوانب هي:

١ـ الجانب الإيماني.

٢ـ الجانب الأسري.

٣ـ الجانب المهني.

٤ـ الجانب الصحي.

٥ـ الجانب المالي.

٦ـ الجانب الاجتماعي.

---

(١) (صناعة القائد)، د. طارق السويدان والأستاذ فيصل باشراحيل، ص (٧١).

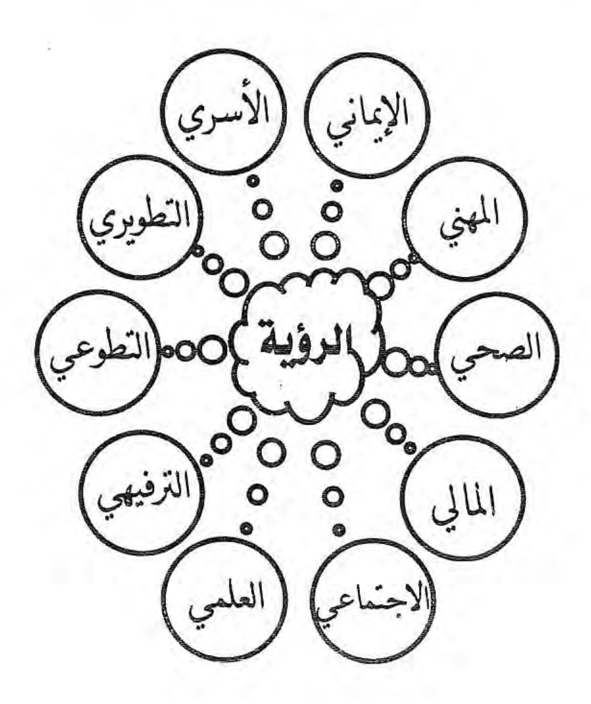
٧ـ الجانب الثقافي العلمي.

٨ـ الجانب الترفيهي.

٩ـ الجانب التطوعي.

١٠ـ الجانب التطويري.

ونتناول الآن هذه الجوانب بشيء من التفصيل:



أولاً: الجانب الإيماني:

هذا الجانب هو أهم الجوانب على الإطلاق؛ إذ عليه يتوقف نجاح المؤمن وفاعليته في بقية الجوانب؛ وذلك لأنه فوق كونه أساس العلاقة مع الله، ولا ينجو الإنسان يوم القيامة من النار، ولا يفوز برضوان الله وجنته إلا بالنجاح فيه، إلا أنه يحقق أيضًا الاستقرار والتوازن النفسي، ويمنح الإنسان شعورًا بالطمأنينة والسكينة والسعادة؛ ما يولد لديه دافعية كبيرة للتقدم والنجاح.

يقول الله عز وجل: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [النحل: ٩٧]، ويقول أيضًا عز وجل: ﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

وسرُّ ذلك أن الإنسان قد خُلق من قبضة من طين ونفخة من روح، ولكل من هذين الجانبين غذاء يتوقف عليه صلاحه، فغذاء الجسد هو الشهوات المباحة في الحدود التي شرعها الله تعالى من أكل وشرب وزواج وغير ذلك، أما غذاء الروح فلا يكون إلا بحسن العلاقة مع الله تعالى من خلال التقرب إليه بما يحبه ويرضاه، واجتناب ما يبغضه سبحانه ويسخطه، فالإيمان هو

الوقود الذي يحتاجه الواحد منا لبلوغ رسالته.

ولقد تفننت الحضارة الغربية في ابتداع صنوف لذات الجسد، وأفرطت في ذلك إفراطًا يقترب بالإنسان من الحيوان، بل يجعله أضل منه، كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ ﴾ [محمد: ١٢]، ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

ومع غرقهم في هذا المتاع الشهواني، إلا أنهم يعيشون في شقوة ما بعدها شقوة، ولا أدل على ذلك من ارتفاع معدلات الانتحار، والإصابة بالأمراض النفسية والعصبية عندهم.

يقول ديل كارنيجي في كتابه «دع القلق وابدأ الحياة» الذي ألفه في ثلاثينيات هذا القرن: (هناك إحصائية رهيبة تظهر لنا في ملفات المسئولين في الولايات المتحدة الأمريكية، ففي كل خمس وثلاثين دقيقة تحدث حالة انتحار، وفي كل مائة وعشرين ثانية تقع حادثة جنون)[1].

ذلك لأنهم لا يملكون رصيدًا حقيقيًّا من العقيدة الصحيحة يسدون به تلك الجوعة الروحية التي تجعلهم في ظمأ دائم إلى شيء

---

(١) نقلًا عن (إدارة الذات)، د. أكرم رضا، ص (٧١).

لا يدركون كنهه، وحتى بعض عقلائهم الذين أدركوا أهمية هذا الجانب في تحقيق سعادة الإنسان واستقراره النفسي، فإن أقصى ما عندهم فيه إنما يمثل علاقة سطحية متوهمة مع الله- سبحانه وتعالى- بدافع المصلحة الشخصية، أما أن يمثل الجانب الإيماني منهجًا يحكم حياتهم فهذا ما لا سبيل لهم إليه بعد أن حُرموا من نعمة الإسلام.

يقول ديل كارنيجي: (أجل رجعت إلى الدين لأني اتخذت نظرة جديدة للدين، فلم تعد تؤثر علي وتشغلني اختلافات المسيحيين فيما بينهم وتفرقهم إلى شيع وأحزاب، بقدر ما يهمني ما يقدمه لي الدين من رحمة ونعم، تمامًا كما تقدمه لي الإضاءة والسيارات والاختراعات الحديثة، فنظرتي الحديثة إلى هذا الدين تساعدني على أن أحيا حياة رغدة هادئة، إن الدين يكسبني الإيمان والأمل على متابعة السير في هذه الحياة بكل شجاعة، ويعينني على خلق واحة خصبة في صحراء حياتي الطويلة)[1].

فهنيئًا لك أيها المؤمن بإيمانك، وبعقيدتك التي تجعلك

---

(١) (دع القلق وابدأ الحياة)، ديل كارنيجي، نقلًا عن (إدارة الذات)، د. أكرم رضا، ص (٧٧).

موصولًا بربك في كل لحظة من لحظات حياتك، يقول تعالى:
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾

[الأنعام: ١٦٢]

وكلما زاد إيمان المؤمن بربه وتمسكه بدينه فلابد أن يزداد نجاحه وفاعليته؛ لأن إيمانه يدفعه إلى تمثل قيم الفاعلية التي أوجبها الله تعالى على كل مؤمن، مثل إتقان العمل وتحمل المسئولية والحفاظ على الوقت، وغيرها من مبادئ الفاعلية التي توصل إليها المتخصصون في علوم الإدارة والتنمية البشرية في هذا العصر، بينما جعلها شرعنا الحنيف من قيم الإيمان منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان.

وهنا يبدو الفرق جليًّا بين المؤمن وغيره في تمثل كل منهما لهذه القيم، فالغربي مهما تمثل بقيم الفاعلية فإن دافعه دنيوي معرض للانقطاع، أما المؤمن فدافعه أخروي إيماني موصول بربه، والدوافع الأخروية (أقوى أنواع الدوافع وأعظمها قدرًا ومكانة وأكثرها ملازمة للإنسان؛ لأنها تدفع الإنسان في السر والعلن وفي كل الأوقات والأحوال وأينما كان، ولأنها دوافع تؤدي به إلى السمو والاستعلاء والعزة والشرف، فالدافع الديني هو ميزة

الإنسان وخصوصيته، والدافع العبادي هو مناط رفعته وكرامته)[1].

وفي رحلة الحياة لابد أن يصيب الإنسان بعض المصائب والتي قد تصيبه بالهم والحزن أو الفشل والإحباط، وكلها معوقات تقطع عليه طريق النجاح، والمؤمن المتصل بربه هو أقدر الناس على مواجهة هذه المصائب؛ إذ إنه يؤمن بقضاء الله وقدره، ويعلم قوله تعالى:

﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[الشرح: ٥].

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[البقرة: ٢١٦].

ومن ثم فلا ييأس، ولا يترك العمل، بل يسعى إلى مدافعة قدر الفشل بقدر النجاح، ويستعين بربه تبارك وتعالى، فيكون لديه إحساس جارف بالقوة، إذ إنه يستمدها من القوي المتين سبحانه وتعالى.

لهذا أيها المؤمن فلابد أن تحدد رؤيتك في الجانب الإيماني إن أردت أن تستمر على طريق النجاح، فكر ماذا تريد لإيمانك؟

(١) (علم النفس الدعوي)، د. عبد العزيز بن محمد النغيمشي، ص (٨٠).

وماذا تفعل لكي تحافظ عليه وتزيده في قلبك؟ وهذه أمثلة لتحديد الرؤية في الجانب الإيماني:

- حفظ كتاب الله تعالى كاملًا.
- الحرص على عدم الوقوع في المعاصي، وإذا وقعت المعصية فالمسارعة إلى التوبة بلا إصرار.
- استكمال أركان الإسلام الخمسة بأداء شعيرة الحج.

ثانيًا: الجانب الأسري:

الأسرة المستقرة المتكاتفة مصدر أساسي من مصادر سعادة الإنسان، ومهما حقق الإنسان النجاح في عمله فإنه لا يشعر به إذا فشل في بناء أسرته، ومن ثم فقد جعل الله عز وجل رعاية الأسرة مسئولية أساسية لكل أب.

يقول تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾ [التحريم: ٦].

ويقول ﷺ: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[١]، وبناء هذه الأسرة المستقرة له تأثير مباشر على نجاح الإنسان في عمله إذ

---

(١) رواه البخاري ومسلم، وتقدم تخريجه ص (١١٥).

إنها تمده براحة البال والاطمئنان، فيشعر أن ظهره مُؤَمَّنٌ من خلفه، ومن ثم فلا يحمل همومًا تنغص عليه حياته، وتقطع عليه تركيزه في عمله.

وتصور على العكس من ذلك إنسانًا ابتلي بولد عاق فاسد أو امرأة عنيدة متعجرفة، لا تعرف حق زوجها، تصور هذه الأسرة التعيسة المفككة، بدلًا من أن توفر للأب السكن والطمأنينة، فإنه ينتهي من عناء العمل وتعبه ليجد المشاكل والإحباطات في بيته، وكل ذلك لأن رب الأسرة لم يرعها حق رعايتها، ولم يحافظ على حالة الحب بينه وبين زوجته، لم يحسن تربية أولاده، لم يضع أهدافًا واضحة ومحددة لبناء أسرة سعيدة ناجحة، من أجل ذلك كان على المؤمن أن يحدد رؤية واضحة تجاه أسرته، ومن أمثلة ذلك:

* البرلمان الأسري: وهو مجلس يتم فيه الحوار والتفاهم بين أفراد الأسرة.

* التغذية الروحية: حيث تجتمع الأسرة لقراءة القرآن وحفظه ولتعلم سنة الرسول ﷺ، وما يلزمها من علوم شرعية لتصحيح عقيدتها وعبادتها.

ثالثًا: الجانب المهني:

ويقصد به الجانب العملي من حياتك والمتعلق بتخصصك الذي من خلاله ستصنع الحياة وتشارك في نهضة الأمة، فلابد أن تحدد بالضبط المجال الذي تحب أن تعمل وتتفوق فيه، وإذا كنت ما زلت طالبًا فماذا تريد أن تصبح؟

مهندس كمبيوتر، طبيب أمراض باطنة، داعية وخطيب ..إلخ.

إذا كنت الآن تمارس تخصصًا، فما هي الأهداف التي تريد أن تحققها فيه؟

على سبيل المثال: إذا كنت مهندسًا في الكمبيوتر يمكن أن تحدد رؤيتك على النحو التالي:

* المساهمة في محو أمية الكمبيوتر عند المسلمين.

* تحقيق الاكتفاء الذاتي من البرمجيات في مجتمعي الذي أعيش فيه.

رابعًا: الجانب الصحي:

إن جسدك هو وسيلة المواصلات التي تسير بك في رحلة النجاح، وبدون التمتع بصحة قوية يصعب على الإنسان أن يستمر في الفاعلية، يقول النبي ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف**»[1].

(فإن ضعف الصحة والظروف غير الصحية تؤثر بشكل سلبي على الإنتاجية في العمل أو في المنزل، وتؤثر أيضًا على علاقتك بأسرتك وأصدقائك، بل إنها تؤثر على قدرتك على الاسترخاء)[2].

وغالبًا ما يتجاهل الإنسان صحة جسده كجزء لا يتجزأ من معادلة النجاح، ومع أنه من المعلوم أن الإنسان لا يمكنه حتى أن يفكر بشكل سليم إلا إذا كان يمتلك عقلًا سليمًا، فإن العقل السليم في الجسم السليم، فلابد من رفع مستوى كليهما حتى تعيش حياة صحية سليمة؛ لذلك حتى تستطيع مواصلة النجاح في حياتك لابد أن يكون الاهتمام بالجانب الصحي من أولويات حياتك، وفيما يلي بعض الأمثلة للرؤى في الجانب الصحي:

---

(١) رواه مسلم، وتقدم تخريجه ص (٢١).

(٢) (النجاح للمبتدئين)، زيج زيجلر، ص (١٩٧).

* الحرص على الغذاء الصحي المتوازن.

* الحرص على ممارسة الرياضة بانتظام والوصول للوزن الطبيعي.

خامسًا: الجانب المالي:

المال هو عصب الحياة، ولا يمكن أن يستغني عنه الإنسان الناجح، وهو عمود أساسي من أعمدة النجاح في الحياة وفي نهضة الأمم، وما سيطر اليهود على العالم إلا من خلال امتلاكهم لحركة المال في العالم، بعد أن تقاعس المسلمون عن ذلك، و(كلنا يجيد سب اليهود الذين استحوذوا على الأموال والأسواق، ويضجر من المارون والأقباط والبُهرة والقاديانية والمبتدعة والأقليات، إذ كان منهم السبق إلى المال، بتسهيل من الدوائر الاستعمارية في فترة الاستعمار جزمًا، ومساعدة من قوى خفية أخرى ربما، ولكننا لم نحسن غير المسبة.

بدلًا من أن تلعن الظلام أوقد شمعة، يجب أن نزيح الفاسقين ونحل بدلهم على نظرية الفيزياء في الإزاحة والإحلال)[1].

ولذلك فإننا نشجع كل مؤمن على حيازة المال الوفير الذي

---

(١) (صناعة الحياة)، محمد أحمد الراشد، ص (٤٧).

يقيه شر الحاجة، ويؤمِّن له ولأسرته الاستقرار، ويمكنه من المساهمة في صناعة النهضة، كعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما، أو غيرهما من أثرياء الصحابة، وكم من طاعات لله لا يستطيع أن يؤديها إلا صاحب المال الغني الشاكر، كالحج والعمرة المستديمة، والصدقات والزكوات، فاجمع من المال أيها المؤمن، وإياك والسرف والخيلاء، والبخل وغيرها من الآفات المهلكة لكل صاحب مال، وحدد أي مستوى مادي تريد أن تصل إليه، ومثال ذلك:

* امتلاك فائض مالي قدره مائة ألف ريال.
* الحصول على دخل خمسة آلاف ريال شهريًّا.

سادسًا: الجانب الاجتماعي:

لا يستطيع الإنسان مهما أوتي من مهارات وقدرات أن ينجح نجاحًا كاملًا بمفرده، فهو كائن اجتماعي بطبعه، يحتاج للإحساس بالصداقة والألفة، والقبول في المجتمع، بل وحتى النجاح في العمل يتوقف إلى حد كبير على مدى قوة العلاقة والرابطة بين أعضاء فريق العمل؛ ومن ثم كان حرص الإسلام على بناء

العلاقات في الأمة، والحث على التعاون الخلاق بين المؤمنين.

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال سبحانه: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾.[المائدة: ٢]

ويقول ﷺ: «المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم»[١].

فإن (بإمكانك الحصول على كل ما تريده من الحياة إذا كنت تساعد الآخرين في الحصول على ما يريدونه هم أيضًا)[٢]، ومن أمثلة الرؤى التي من الممكن أن يضعها الإنسان في قائمة الجانب الاجتماعي:

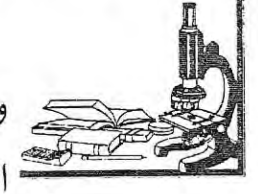
* الاحتفاظ بعلاقات طيبة مع جميع المعارف والأصدقاء.
* السعي للإصلاح بين الأقارب المتخاصمين.

---

(١) رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة والرقائق والورع، رقم:٢٤٣٦. وابن ماجه في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء، رقم: ٤٠٢٢، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ٣٢٥٧.

(٢) (النجاح للمبتدئين)، زيج زيجلر، ص (٦).

سابعًا: الجانب العلمي الثقافي:



العلم دافع للحياة، ومفتاح التطور والنضج وعامود السعادة والنجاح، وسبب العمل الصحيح، والحياة تقف عندما يقف التعلم.

ولا يمكن أن يحقق الإنسان نجاحًا متميزًا في الحياة إلا وهو على قدر لا بأس به من العلم والثقافة، إن (المعرفة هي قوة في حد ذاتها).

والقاعدة العامة في التعلم هي: **(اعرف شيئًا عن كل شيء لتكون مثقفًا، واعرف كل شيء عن شيء لتكون متخصصًا).**

ومن رؤى التعلم المقترحة:

* قراءة كتاب في كل علم من علوم الشريعة.
* الارتقاء في الدرجات العلمية في التخصص المنشود.

ثامنًا: الجانب الترفيهي:

يظن كثير من الناس أن الناجحين في الحياة لا مكان للهو والترفيه في حياتهم، وهذا غير صحيح بالمرة؛ لأن الجانب الترفيهي المباح ضروري جدًّا للحفاظ على الصحة النفسية والتخلص من ضغوط العمل، وقد تمل النفس

وتكِل إذا أثقلت بالجاد من الأمور طوال الوقت.

وها هو رسول الله ﷺ فيما ترويه عنه أم المؤمنين عائشة ﵂ فتقول: إنها كانت مع النبي ﷺ في سفر فسابقته فسبقته على رجليَّ، فلما حملت اللحم سابقته فسبقني، فقال: «**هذه بتلك السبقة**»[(١)].

(إن التخلص من بعض مظاهر التكلف على الشاطئ، والجري بقدمين حافيتين، وضرب الكرة بمضرب بشدة، وقذف الماء في وجوه أصدقائك في البحر، أو لعبك بمضرب التنس في ناديك الذي تركت المرور عليه من مدة، أو إعادة تنظيم الطوابع أو ألبوماتك التي كثر على غلافها التراب، أو العودة لمجموعة الأصدقاء لمعاودة النقاش أو حتى الجري لمدة ساعة يوميًّا؛ كل هذه الهوايات أو بعضها أو إحداها سيعيدك إلى عملك بسرعة مرة أخرى مستمتعًا به ومشتاقًا إليه)[(٢)].

وقد (روى المصنفون في أدب الطلب طائفة من أخبارهم في ذلك، ومنهم الخطيب البغدادي في كتابه (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع)، فروى بإسناده عن علي ﵁ أنه قال: روحوا

---

(١) رواه أبو داود في الجهاد، باب في السبق على الرجل، رقم: ٢٥٧٨. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٧٠٠٧.

(٢) (إدارة الذات)، د. أكرم رضا، ص (١٨٠، ١٨١).

القلوب وابتغوا لها طرف الحكمة فإنها تمل الأبدان.

وروي عن كثير بن أفلح أنه قال: آخر مجلس جالسنا فيه زيد ابن ثابت تناشدنا فيه الشعر)[1].

ولكن هذا لا يعني أن يخرج الجانب الترفيهي عن حد الاعتدال بحيث يطغى على وقت الإنسان؛ فتضيع أولوياته وتتبدد أوقاته فـ(لقد حددت الشريعة ضوابط مهمة تمنع أن يجنح الترويح عن هدفه فيتحول إلى غاية، ومن ذلك نهي الرسول ﷺ عن تتبع الصيد، والصيد في الأصل مباح، إلا أن إهدار الأوقات والأعمال الثمينة في البحث عنه، ومطاردته من مكان إلى مكان هو المنهي عنه، قال رسول الله ﷺ: **«من بدا جفا، ومن تبع الصيد غفل، ومن أتى أبواب السلطان افتتن»**[2])[3] فلابد أن يخصص الإنسان جزءًا من وقته لهذا الجانب وتكون له فيه رؤية واضحة، ومثال ذلك:

* القيام برحلة كل فترة إلى مكان جديد.

---

(١) (الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع)، للخطيب البغدادي (٢ / ١٢٩، ١٣٠).

(٢) رواه أحمد في المسند من حديث أبي هريرة، رقم: ٨٦١٩. ورواه الطبراني من حديث ابن عباس. وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٦١٢٤.

(٣) (التربية الجادة ضرورة)، الشيخ محمد الدويش حفظه الله، ص (٧٠).

تاسعًا: الجانب التطوعي:

ونعني به ما يُقدمه الإنسان من خدمات لمجتمعه دون أن يأخذ عليها مقابلًا، إن هذا الجانب من أكثر الجوانب التي تشعر الإنسان بالسعادة والبهجة، وتثبت آدميته وسمو مشاعره، وقديمًا قالوا: (ما استحق أن يولد من عاش لنفسه فقط).

فما أجمل أن تمسح دمعة يتيم، أو تجبر كسر أرملة، أو تسد جوعة مسكين، إن مثل هذه الجهود التطوعية فوق أنها تشعرك بالسعادة، فإنها تجلب رضا ربك سبحانه وتعالى، ومن ثم توفيقه في كل مناحي الحياة، يقول أحدهم: (اجعل الأولوية القصوى بالنسبة لك هي خدمة الآخرين، وسيأتي النجاح بعد ذلك)[1].

ومن أمثلة الرؤى في هذا الجانب:

* بناء ملجأ للأيتام.

* إنشاء جمعية خيرية لدعم أسر الشهداء.

---

(١) (قوة الأهداف اقتباسات إدارية للانتقال إلى مستويات أعلى في الحياة)، كاثرين كارفيلس، ص (٢٥).

عاشراً: الجانب التطويري:

(افترض أنك رأيت شخصًا يتصبب عرقًا وهو يحاول قطع إحدى الأشجار بمنشار صدئ، وحينها تسأله:

- ماذا تفعل يا رجل؟

- يرد عليك بحدة ونفاذ صبر: ألا ترى؟ إنني أحاول قطع هذه الشجرة.

- فتقول له: يبدو عليك الإرهاق التام، فكم من الوقت مضى عليك وأنت تحاول قطع هذه الشجرة؟

- فيقول: أكثر من خمس ساعات وأنا في هذه المهمة الشاقة.

- ولماذا لا تأخذ استراحة قصيرة تسن فيها هذا المنشار الصدئ الذي تستعمله؟ فلا شك أن ذلك سوف يجعلك تنتهي من هذه المهمة بسرعة أكبر.

- ليس عندي أي وقت أضيعه في سن هذا المنشار، فأنا مشغول[1].

ما رأيك أيها المؤمن، في هذا الإنسان الساذج الذي يأبى أن يوفر قليلًا من الوقت يسن فيه منشاره الصدئ؛ لكي يستطيع إنجاز عمله بمجهود أقل وفي وقت أقصر؟ لا شك أنك تتهمه

---

(١) (العادات السبع لأكثر الناس فعالية)، ستيفن كوفي، ص (٤١٤).

بالسذاجة والغباء، ولكن اسمح لي أن أخبرك أن كثيرًا من الناس مثل هذا الرجل، وعفوًا: قد تكون منهم؛ فإننا في الغالب نبخل بقليل من الوقت على أنفسنا نشحذ فيه قدراتنا ونطور فيه من مهاراتنا لنكون أكثر قدرة على تحقيق أهدافنا، ومع أنه لا يوجد عصر من العصور السابقة قد توفرت فيه سبل اكتساب المهارات كعصرنا هذا، إلا أننا نحن المسلمين ما زلنا في وادٍ والعالم كله في وادٍ آخر!!

فاعلم أيها المؤمن **(أن الوقت الذي تستثمره في العناية بشحذ قدراتك هو أهم استثمار تقوم به في حياتك؛ لأنه استثمار فيك أنت وفي قدرتك على التعامل مع مشاكل الحياة المعقدة المتشابكة)**[1].

وارجع معنا إلى مقدمة الكتاب، وستجد أمثلة للمهارات الكثيرة التي يمكن أن تكتسبها لتجعلك أكثر قدرة على تحقيق أهدافك، ومن أمثلة الرسائل في هذا الجانب:

* الحصول على دورات في مجال الحاسب الآلي (الكومبيوتر).
* إتقان اللغة الإنجليزية.
* إتقان سرعة الكتابة على الحاسب الآلي.

* * *

---

(١) (العادات السبع لأكثر الناس فعالية)، ستيفن كوفي، ص (٤١٥).

فأعطِ كل ذي حق حقه

قد تقول بعد كل هذا: وكيف لي أن أحقق كل هذه الأهداف معًا؟ وهل أستطيع أن أوازن بين كل هذه الأدوار؟

أقول: بداية إن كل هذه الأمور لا غنى لك عنها، فكل الجوانب السابقة التي أوجبنا عليك أن تحدد لك فيها أهدافًا لا يكتمل ولا يتم النجاح الحقيقي إلا بها جميعًا، يقول سلمان الفارسي رضي الله عنه: (إن لنفسك عليك حقًا، ولربك عليك حقًا، ولضيفك عليك حقًا، وإن لأهلك عليك حقًّا، فأعطِ كل ذي حق حقه)، ولما بلغ ذلك القول رسول الله ﷺ قال: «صدق سلمان»[1].

وهذه الأدوار متداخلة إلى حد كبير، حيث يؤثر كل دور في الآخر تلقائيًا؛ لأنها معًا تشكل حياتنا، فالحياة كلٌّ لا يمكن تجزئته، والمشكلة فينا أننا منذ سن مبكرة تمت برمجتنا من خلال المدارس والجامعات على هذه العقلية الانفصالية التي ترى هذه الأدوار كلها كأجزاء منفصلة عن الحياة، فنحن في المدرسة مثلًا ندرس

---

(١) رواه البخاري، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع، رقم: ١٨٣٢، وكتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف، رقم: ٥٦٧٣.

موضوعات منفصلة تعالجها كتب منفصلة، فيحصل أحدنا على تقدير ممتاز في الرياضيات، ومقبول في الفيزياء، ولا نرى أن هناك أية علاقة بين المادتين، وبنفس العقلية نرى دورنا في العمل منفصلًا عن دورنا في المنزل، ولا نرى أية صلة بينهما وبين أدوارنا في المجتمع أو في تطوير الذات.

فالمشكلة إذًا في الطريقة التي ننظر بها إلى المشكلة، فلابد أن ندرك أولًا أن مهمتنا ليست الجري ما بين الأدوار في تنازع بينها على ما نملك من وقت وطاقة، وإنما التوازن أن تعمل كل الأدوار متداخلة متزامنة في تناغم يحقق الكل، فالتوازن ليس: إما هذا.. أو ذاك، إنه: هذا .. بالإضافة إلى .. ذاك.

مفاتيح التوازن بين الأدوار:

(١) أن تكون كل أدوارك تنبع من رسالتك:

فهذا أول مفتاح لعملية التوازن، أن ترى رسالتك في كل دور من هذه الأدوار، بحيث تكون جميعها نابعة حقيقة من رسالتك الشخصية، وهنا تصبح أدوارنا تلك كفروع ناضرة لشجرة باسقة لا يمكن فصلها عن بعضها، بل إنها تقوي بعضها البعض، وتتغذى جميعًا من نفس الجذر.

تمامًا كما وصف الله عز وجل المؤمنين في تكاملهم وترابطهم فقال: ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ ﴾ [الفتح: ٢٩].

فالمؤمن كمثل زرع أخرج فروعه، فنما وزاد سمكه ونمت هذه الفروع حتى استوت على سيقانها، فأصبحت الشجرة قوية صلبة يقوي بعض أجزائها بعضًا، فهكذا أدوارك في الحياة إذا نبعت كلها من رسالتك الشخصية فإنك لا ترى أي انفصال بينها.

وهذا رسول الله ﷺ ترى كل أدواره نابعة من رسالته الشخصية التي قال الله- عز وجل- عنها: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ولذلك تجده ﷺ كما كان رحمة للبشرية بقيادة الأمة ورفع راية الجهاد في سبيل الله، وإنشاء المجتمع، وتجييش الجيوش، فهو رحمة للبشرية في معاملته لزوجاته رضي الله عنهن، فهو يسابق عائشة ويمازحها، ويمضي في ذلك الأوقات، فهذا أيضًا من رحمته ﷺ بالعالمين؛ إذ يعلمهم كيف تكون العلاقة بين الرجل وزوجته.

فحينما تكون أدوارك وأهدافك كلها نابعة من رسالتك

الشخصية فإنك تملك الطاقة والدافع القوي النابع من داخل ذاتك، فتستطيع أن تقوم بها معًا، أما حين تنفصل تلك الأدوار عن رسالتك فلن يكون لها مثل ذلك الدافع؛ لأنها لا تتغذى من سخونة الذات من الداخل، تمامًا كنبتة الفول على قطعة القطن المبللة بالماء لا يمكن أن تستمر أكثر من أيام.

(٢) التركيز على المبادئ:

فعندما نركز على المبادئ تختفي عملية الفصل بين الأدوار المختلفة في حياتنا، إذ إن أدوارنا في هذه الحالة تصبح بمثابة روافد طبيعية لممارسة تلك المبادئ الصحيحة التي نتبناها، وتكون هذه الأدوار تحديات نثبت من خلالها تعدد أشكال تطبيق نفس المبادئ في المجالات المختلفة في حياتنا.

فالمبادئ التي تحقق النجاح في مجال الأعمال هي ذاتها التي تحقق النجاح في إدارة الأسرة، وفي القرن الخامس قبل الميلاد أصيب أحد الجنود المحترفين- وكان اسمه نيكوماشيدس- بالحزن والإحباط عندما وجد زميلًا له قد ترقى إلى رتبة قائد الجيش، وكان كل ما يملكه هو تميزه في إدارة المنزل وإدارة فريق غنائي، فلما شكا ذلك إلى سقراط قال له: (أيًّا كان المكان الذي يرأسه الإنسان سوف ينجح في هذه الرئاسة ما دام أنه يعرف ما

يريد، وقادر على القيام بمهنته، كن رئيسًا ناجحًا سواء كنت تقود أسرة أو مدينة أو جيشًا).

لذلك فإن مهمة من يدير المنزل لا تختلف عن مهمة من يدير شركة كبيرة، إلا في الحجم فقط.

فإذا ركزت على تطبيق مبادئك فإنك ستتمكن من إحداث تفاعل بين أدوارك يوفر لك الكثير من الوقت والجهد، فمثلًا إن مبدأ التفهم للطرف الآخر في التعاملات الإنسانية يوجد الثقة بين الأطراف سواء داخل العمل أو في الصداقة أو في الأسرة، وبه تستطيع أن تتعامل مع أحد أفراد الأسرة في حالة غضب، أو عميل غير مريح، أو رئيس كثير الطلبات أو مرءوس ناقم.

وبمثل نفس المنطق تستطيع أن تنمي نفسك صحيًا وترعى أولادك في وقت واحد كأن تدعوهم مثلًا إلى مشاركتك في لعب مباراة لكرة القدم، أو لممارسة السباحة معك أو لنزهة أسبوعية.

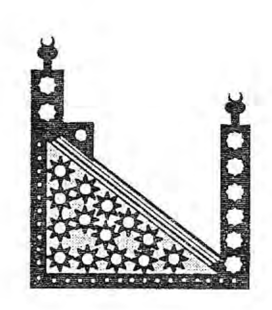
(٣) كتابة الأدوار كل أسبوع:

إن كتابة أدوارنا كل أسبوع يجعلها حاضرة في بؤرة تركيزنا باستمرار، ويوجد لها نصيبًا في برنامجنا الأسبوعي، يقول أحد المديرين المشغولين: (خلال السبع عشرة

سنة التي قضيتها مديرًا ذهبت إلى الغداء مع الكثيرين، ولكن عندما كتبت أدواري في الحياة، جئت إلى دور الزوج، فاكتشفت أنني لم أخرج مع زوجتي للغداء مرة واحدة، مع أن علاقتي بها واحدة من أهم العلاقات في حياتي، ونتيجة لعملية التنظيم الأسبوعية بدأت في الاهتمام بهذا الدور، وخرجت معها للغداء، وكان من نتيجة ذلك أن أصبحنا أكثر التصاقًا وقربًا، أصبح الاتصال بيننا أسهل؛ ما أدى إلى القيام بأعمال أخرى جعلتني زوجًا أفضل، ومع كل مراجعة أسبوعية لعملية تنظيم وقتي أكتشف مزيدًا من التقدم في هذه المهمة)[1].

❊ ❊ ❊

(١) (إدارة الأولويات الأهم أولًا)، ستيفن كوفي، ص (١٨١).



رب رؤية أحيت أمة

نور الدين ومنبره

رؤية لفرد تحققها أمة

يستدعي السلطان نور الدين محمود- رحمه الله تعالى- أمهر النجارين في السلطنة، ثم يأمرهم بتصميم وبناء أفخم وأعظم منبر بني تشهد الخلائق بعظمته، وانطلق النجارون في البناء أيامًا تجر أيامًا، وشهورًا خلف أخرى، والسلطان يشرف بنفسه كلما أمكنته الراحة ما بين معركة وأخرى على البناء المبارك، ويستغرق الإتمام خمس سنين كاملة، والسلطان يسأله من حوله لمن هذا المنبر فيجيب: (مستقره في بيت المقدس إن شاء الله).

ويصف العماد الأصفهاني هذا المشهد فيقول: **(فكان حاله وهو يأمر بالبناء ويصنعه كحال نوح عليه السلام وهو يصنع الفلك، كلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه).**

رؤية ملأت كيان نور الدين محمود غرسها فيه أبوه من قبل عماد الدين زنكي عبر مراحل جهاده المختلفة من توطيد الوضع في إمارة الموصل، ثم عبر فتح حصن الأثارب ومنه إلى قلعة حارم، ثم كانت أعظم خطواته فتح الرها، واستكمل نور الدين من بعد أبيه المسيرة، وكانت أولى الخطوات بناء المنبر علامة

وضوح الرؤية وثباتها ورسوخها في قلب نور الدين رحمه الله.

وانطلق فضم دمشق إلى بلاده ثم أعقبها بمصر وبدأ في التجهيز للضربة القاصمة للصليبيين.

ولكن المنية عجلت به، فانطلق صلاح الدين رحمه الله وقد انحفرت رؤية نور الدين متمثلة في المنبر يكمل رسم معالمها، فأعاد توحيد بلاد الشام ومصر بعد وفاة نور الدين رحمه الله، وبدأ بإطلاق الحملات المركزة على المدن القريبة من بيت المقدس تمهيدًا للفتح الأعظم، ثم ضرب ضربته القاصمة وقد تهيأت الأمة وملأتها معالم الرؤية وترسخت فيها عبر السنوات، ويفتح الله على يديه بيت المقدس بعد أن يكسر الصليبيين في معركة حطين.

ويدخل صلاح الدين- رحمه الله- المسجد الأقصى مع جند المؤمنين، ثم يأمر بالمنبر فيوضع في تلك البقعة المباركة ويعلو التكبير وتسيل العبرات من عين صلاح الدين وجنده فرحًا بنصر الله تعالى وابتهاجًا بتحقق رؤية نور الدين إمامهم، تلك الرؤية التي أحيت أمة بكاملها، ولا يزال المسجد الأقصى الآن ينتظر منبرًا مثل منبر نور الدين، ومؤمنًا صادقًا يضع رؤية واضحة يحيي بها أمة الإسلام ويعيد إليها أقصاها الأسير.

وللآخرين نصيب أيضًا

أوساهير

ونقلة يابانية

يحكي أوساهير عن نفسه فيقول: (لو أنني اتبعت نصائح أستاذي الألماني الذي ذهبت أدرس على يديه في جامعة هامبورج لما وصلت إلى شيء، كانت حكومتي قد أرسلتني لأدرس أصول الميكانيكا العلمية، كنت أحلم بأن أتعلم كيف أصنع محركًا صغيرًا؟ كنت أعرف أن لكل صناعة وحدة أساسية أو ما يسمى الموديل وهو أساس الصناعة كلها، فإذا تعلمت كيف يصنع وضعت يدي على سر هذه الصناعة كلها.

وبدلًا من أن يأخذني الأساتذة إلى معمل أو إلى مركز تدريب عملي أخذوا يعطونني كتبًا لأقرأها، وقرأت حتى عرفت نظريات الميكانيكا كلها، ولكنني ظللت أمام المحرك أيًّا كانت قوته وكأنني أقف أمام لغز لا يحل.

وفي ذات يوم قرأت عن معرض محركات إيطالية الصنع وكان ذلك أول الشهر، وكان معي راتبي، ووجدت في المعرض محركًا قوة حصانين ثمنه يعادل مرتبي كله، فأخذت الراتب

ودفعته وحملت المحرك وكان ثقيلًا جدًّا، وذهبت إلى حجرتي ووضعته على المنضدة وجعلت أنظر إليه وكأنني أنظر إلى تاج من الجوهر وقلت لنفسي: هذا هو سر قوة أوروبا، لو استطعت أن أصنع محركًا كهذا لغيرت تاريخ اليابان.

وطاف بذهني خاطر يقول: إن هذا المحرك يتألف من قطع ذات أشكال وطبائع شتى، مغناطيس كحدوة الحصان وأسلاك وأذرع دافعة وعجلات وتروس وما إلى ذلك، لو أنني استطعت أن أفكك قطع هذا المحرك وأعيد تركيبها بالطريقة نفسها التي ركبوها بها ثم شغلته فاشتغل؛ أكون قد خطوت خطوة نحو سر موديل الصناعة الأوروبية.

وبحثت في رفوف الكتب عندي حتى عثرت على الرسوم الخاصة بالمحركات وأخذت ورقًا كثيرًا وأتيت بصندوق أدوات العمل ومضيت أعمل، رسمت المحرك بعد أن رفعت الغطاء عنه ثم جعلت أفككه قطعة قطعة، وكلما فككت قطعة رسمتها على الورق بغاية الدقة وأعطيتها رقمًا، وشيئًا فشيئًا فككته كله ثم أعدت تركيبه وشغلته فاشتغل، كاد قلبي يقف من الفرح.

استغرقت العملية ثلاثة أيام، كنت آكل في اليوم وجبة واحدة، ولا أصيب من النوم إلا ما يمكنني من مواصلة العمل.

وحملت النبأ إلى رئيس بعثتنا فقال: (حسنًا فعلت، الآن لابد أن أختبرك، سآتيك بمحرك معطَّل وعليك أن تفككه وتكتشف موضع الخطأ وتصححه وتجعل هذا المحرك المعطَّل يعمل، وكلفتني هذه العملية عشرة أيام عرفت أثناءها موضع الخلل، فقد كانت ثلاث قطع من قطع المحرك بالية متآكلة صنعت غيرها بيدي، صنعتها بالمطرقة والمبرد، بعد ذلك قال رئيس البعثة الذي كان يتولى قيادتي روحيًّا: عليك الآن أن تصنع هذه القطع بنفسك ثم تركبها محركًا.

ولكي أستطيع أن أفعل ذلك التحقت بمصانع صهر الحديد وصهر النحاس والألومنيوم، وبدلًا من أن أعد رسالة الدكتوراه كما أراد مني أستاذي الألماني، تحولت إلى عامل ألبس بذلة زرقاء وأقف صاغرًا إلى جانب عامل صهر المعادن، كنت أطيع أوامره كأنه سيد عظيم مع أنني كنت من أسرة ساموراي، ولكنني كنت أخدم اليابان، وفي سبيل اليابان يهون كل شيء.

قضيت في هذه الدراسات والتدريبات ثماني سنوات كنت أعمل خلالها ما بين عشر إلى خمس عشرة ساعة يوميًّا، وبعد انتهاء العمل كنت آخذ نوبة حراسة، وخلال الليل كنت أراجع قواعد كل صناعة على الطبيعة.

علم الميكادو "الحاكم الياباني" بأمري، فأرسل لي من ماله الخاص خمسة آلاف جنيه ذهبًا، اشتريت بها أدوات مصنع، محركات كاملة وأدوات وآلات، وعندما أردت شحنها إلى اليابان كانت النقود قد فرغت، فوضعت راتبي وكل ما ادخرته ثمنًا لشحنها، وعندما وصلت إلى نجازاكي قيل لي: إن الميكادو يريد أن يراك. قلت: لن أستحق مقابلته إلا بعد أن أنشئ مصنع محركات كاملًا، وقد استغرق ذلك مني تسع سنوات.

وفي يوم من الأيام حملت مع مساعدي عشرة محركات (صنع في اليابان) قطعة قطعة حملناها إلى القصر وشغلناها، ودخل الميكادو فانحنينا نحييه، فابتسم وقال: هذه أعذب موسيقى سمعتها في حياتي صوت محركات يابانية خالصة، وهكذا ملكنا الموديل وهو سر قوة الغرب، نقلناه إلى اليابان، نقلنا قوة أوروبا إلى اليابان ونقلنا اليابان إلى الغرب)[1].

* * *

(١) مجلة المجتمع، العدد (٩٩٨).



* هناك عشرة جوانب في الحياة لابد أن تمتلك في كل منها رؤية واضحة:

١- الجانب الإيماني. ٢- الجانب الأسري.

٣- الجانب المهني. ٤- الجانب الصحي.

٥- الجانب المالي. ٦- الجانب الاجتماعي.

٧- الجانب العلمي. ٨- الجانب الترفيهي.

٩- الجانب التطوعي. ١٠- الجانب التطويري.

□ **هذه الجوانب العشرة كلها ضرورية للحياة الفعالة، ولكي يمكنك تحقيق التوازن بينها إليك هذه المفاتيح:**

١- أن تكون رؤيتك في كل جانب معبرة عن رسالتك.

٢- التركيز على المبادئ، فترى في جوانب حياتك فرصة لتطبيق المبادئ القويمة التي قامت عليها رسالتك.

٣- كتابة أدوارك في كل جانب من جوانب رؤيتك في بداية كل أسبوع.

كيف تحدد رؤيتك؟

(١) **حدد رؤيتك في كل جانب** من هذه الجوانب المهمة بما يحقق رسالتك في هذا الجانب، بمعنى أن تحدد الأهداف بعيدة المدى والتي تمثل منتهى طموحك، بحيث إذا تحققت فإن رسالتك بالتالي تكون قد أديت على أكمل وجه.

ونريد منك هنا أن تطلق العنان لخيالك، فلا تضع حدودًا على ذهنك، ولا تقيده بتقويم أفكارك فوريًا، بل اكتب كل ما يعن لك حتى لو بدا لك مستحيلًا؛ لأننا نريد هنا أن نستخرج أفضل ما بداخلك، وسوف تأتي مرحلة التقويم فيما بعد، كما نذكرك بأن تراعي في تحديدها صفات الهدف الفعَّال.

مثال:

* رسالتي في الحياة: إرضاء الله تعالى من خلال إسعاد نفسي وأهلي والآخرين بتخفيف الألم والمعاناة عنهم.

* رؤيتي في الجانب المهني:

١ - أن أعمل أستاذًا في كلية الطب قسم الأمراض الباطنية.

٢ - أن أكون مديرًا لمستشفى خاص.

٣ - أن أملك عيادة خاصة.

٤ - أن أكون نقيبًا للأطباء في بلدي.

(٢) أوجد القناعة اللازمة لكل هدف بعيد المدى:

لكي يتحرك الإنسان إلى الهدف، فلابد أن يكون هناك دافع قوي لهذا الهدف، هذا الدافع من شأنه أن يقنع العقل الباطن بضرورة التحرك لتحقيق هذا الهدف؛ ما يدفع الإنسان بكل طاقته نحو الهدف.

وتأمل معي هذه القصة الطريفة ليتبين لك أثر الدوافع على تحرك الإنسان نحو هدفه إنها (قصة الشاب الذي ذهب إلى أحد حكماء الصين ليتعلم منه سر النجاح، وسأله: هل تستطيع أن تذكر لي ما هو سر النجاح؟

- فرد عليه الحكيم الصيني بهدوء، وقال له: سر النجاح هو الدوافع.

- فسأله الشاب: ومن أين تأتي هذه الدوافع؟

- فرد عليه الحكيم الصيني: من رغباتك المشتعلة.

- وباستغراب سأله الشاب: وكيف يكون عندنا رغبات مشتعلة؟

- وهنا استأذن الحكيم الصيني لعدة دقائق وعاد ومعه وعاء كبير مليء بالماء، وسأل الشاب: هل أنت متأكد أنك تريد أن تعرف مصدر

الرغبات المشتعلة؟

ـ فأجابه الشاب بلهفة: طبعًا.

ـ فطلب منه الحكيم أن يقترب من وعاء الماء وينظر فيه.

ونظر الشاب إلى الماء عن قرب، وفجأة ضغط الحكيم بكلتا يديه على رأس الشاب ووضعها داخل وعاء الماء، ومرت عدة ثوان ولم يتحرك الشاب ثم بدأ ببطء يخرج رأسه من الماء، ولما بدأ يشعر بالاختناق بدأ يقاوم بشدة؛ حتى نجح في تخليص نفسه وأخرج رأسه من الماء.

ـ ثم نظر إلى الحكيم الصيني، وسأله بغضب: ما هذا الذي فعلته؟

ـ فرد عليه وهو ما زال محتفظًا بهدوئه وابتسامته سائلًا: ما الذي تعلمته من هذه التجربة؟

ـ فقال الشاب: لم أتعلم شيئًا.

ـ فنظر الحكيم الصيني قائلًا: لا يا بني، لقد تعلمت الكثير، ففي خلال الثواني الأولى أردت أن تخلص نفسك من الماء، ولكن دوافعك لم تكن كافية لعمل ذلك، وبعد ذلك تحركت لديك الرغبة في تخليص نفسك، فبدأت في التحرك والمقاومة ولكن

ببطء، حيث إن دوافعك لم تكن قد وصلت بعد لأعلى درجاتها، وأخيرًا أصبحت عندك الرغبة المشتعلة لتخليص نفسك، وعندئذ فقط نجحت لأنه لم تكن هناك أية قوة في استطاعتها أن توقفك[1].

ثم أضاف الحكيم الصيني الذي لم تفارقه ابتسامته الهادئة: **عندما يكون لديك الرغبة المشتعلة للنجاح فلن تستطيع العقبات أن تقف في طريقك)**[2].

ومن أجل توليد تلك الرغبات والدوافع نحو تحقيق الأهداف أنشأ النبي ﷺ مدرسة الترغيب والترهيب التي خرَّجَت جيلًا عظيمًا من صحابة رسول الله ﷺ، لم يعرف التاريخ لهم مثالًا في المسارعة إلى طاعة الله ورسوله ﷺ، فكان ﷺ دائم التذكير لهم بفضل العمل الصالح وذكر ثمراته في الدنيا والآخرة؛ بحيث تتولد في نفوسهم دوافع قوية لا يملكون معها إلا أن يسارعوا إلى جنة عرضها السموات والأرض، وإنما ذكر العرض لأنه دائمًا أقصر من الطول، فإذا كان العرض هو السموات والأرض فكيف بالطول؟!

---

(١) إلا بإذن الله.

(٢) (المفاتيح العشرة للنجاح)، د. إبراهيم الفقي، ص (١٩، ٢٠).

لما كان يوم غزوة بدر، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض»، فقال عمير بن الحمام الأنصاري: يا رسول الله، جنة عرضها السموات والأرض!! قال: «نعم»، فانطلق ينشد فرحًا: بخٍ بخٍ. فسأله النبي ﷺ: «ما يحملك على قول بخٍ بخٍ؟»، قال: لا والله يا رسول الله، إلا رجاءة أن أكون من أهلها. فقال له النبي ﷺ: «**فأنت من أهلها**»[1]. تلقف هذه البشرى عمير فعلم أنه لم يبق بينه وبين دخول الجنة عقبة سوى أن يضرب بالسيف فيدخلها، وكان في يده تمرات فتذكر أن ما سيستغرقه في أكل التمرات سيؤخره عن دخول الجنة، وقال: إنها لحياة طويلة حتى آكل هذه التمرات. وانطلق مسرعًا .. قاتَل ..قُتِل .. دخلها.

من أجل ذلك لابد أيها المؤمن بعد أن حددت أهدافك الاستراتيجية حسب الأولوية، أن تولد عند نفسك قناعة بأهمية هذه الأهداف، وذلك بكتابة الثمرات التي ستجنيها من تحقيقك لهذا الهدف، وداوم بعد ذلك على مطالعتها والتأمل فيها يوميًا

(١) رواه مسلم في كتاب الإمارة، رقم: ١٩٠١، و((بخٍ بخٍ)): كلمة تطلق لتفخيم الأمر وتعظيمه في الخير.

حتى تبني في نفسك هذه القناعة، وفي كل مرة إذا قابلك عائق أو وجدت من نفسك كسلًا أو ضعفًا في العزيمة أعد مطالعة هذه الفوائد، وستجد أنك ازددت حماسًا وإقبالًا على العمل لتحقيق هدفك.

مثال:

ما الفوائد التي سأجنيها من نيل الأستاذية في الأمراض الباطنة؟

١) مركز اجتماعي مرموق.

٢) كسب احترام الناس وتوقيرهم.

٣) دخل شهري عالٍ.

٤) إرضاء الله تعالى من خلال أبواب كثيرة من أبواب الخير مثل:

* نشر العلم بين طلبة المسلمين.

* المساهمة في تحقيق فرض الكفاية.

* التخفيف عن الفقراء والمحتاجين.

وتعالَ معنا الآن لنطبق الخطوتين الأولى والثانية عبر هذا الجدول:

الجانب	الهدف	أهميته
١- الإيماني	١-	١- ٢-
	٢-	١- ٢-
	٣-	١- ٢-
	٤-	١- ٢-
	٥-	١- ٢-
٢- الأُسري	١-	١- ٢-
	٢-	١- ٢-
	٣-	١- ٢-

	٤-	١- ٢-
	٥-	١- ٢-
	١-	١- ٢-
	٢-	١- ٢-
٣- المهني	٣-	١- ٢-
	٤-	١- ٢-
	٥-	١- ٢-
٤- المالي	١-	١- ٢-
	٢-	١- ٢-

	٣-	١- ٢-
	٤-	١- ٢-
	٥-	١- ٢-
٥- الصحي	١-	١- ٢-
	٢-	١- ٢-
	٣-	١- ٢-
	٤-	١- ٢-
	٥-	١- ٢-
٦- الاجتماعي	١-	١- ٢-

	٢-	١- ٢-
	٣-	١- ٢-
	٤-	١- ٢-
	٥-	١- ٢-
٧- الثقافي	١-	١- ٢-
	٢-	١- ٢-
	٣-	١- ٢-
	٤-	١- ٢-
	٥-	١- ٢-

٨- الترفيهي	١-	١- ٢-
	٢-	١- ٢-
	٣-	١- ٢-
	٤-	١- ٢-
	٥-	١- ٢-
٩- التطوعي	١-	١- ٢-
	٢-	١- ٢-
	٣-	١- ٢-
	٤-	١- ٢-

	٥-	١- ٢-
١٠- التطويري	١-	١- ٢-
	٢-	١- ٢-
	٣-	١- ٢-
	٤-	١- ٢-
	٥-	١- ٢-

(٣) وضع الإطار الزمني لكل هدف استراتيجي :

بمعنى أن تحدد الزمن اللازم في تقديرك لتحقيق هذا الهدف بحيث تجعل له نقطة بداية ونقطة نهاية.

(٤) حدد الأهم والأولى فقط من الأهداف بعيدة المدى :

وهنا لابد أن ترتب أولوياتك، وتتأمل جيدًا فيما وضعته من أهداف؛ حتى تستطيع أن تتعرف على أهمها بالنسبة لك وأكثرها تأثيرًا في تحقيق رسالتك، وأقربها إلى إمكانياتك، وأكثرها تحققًا بصفات

الهدف الفعال؛ وذلك لكي تستطيع أن تركز عليها في مشوار حياتك.

فالتركيز سر عظيم من أسرار النجاح، وهو ما نتعلمه من وصية النبي ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن.

فعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له: «إنك تأتي قومًا من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن هم أطاعوك لذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»[1].

فإذا كانت رسالة معاذ بن جبل هنا في هذه المهمة هي الحكم بالعدل والقيام بواجب الدعوة إلى الله والتعليم، فإن النبي ﷺ قد رسم له رؤية واضحة تتحقق بأهداف محددة مرتبة وفق أهميتها في تحقيق الرؤية، هي:

(١) التوحيد.

---

(١) رواه البخاري، كتاب الزكاة، رقم: ١٣٩٥، وفي غيره. ومسلم في كتاب الإيمان، رقم: ١٩.

(٢) الصلاة.

(٣) الزكاة.

(٤) عدم قبول العطايا.

(٥) تجنب الظلم.

ولذلك فقد أدى معاذ بن جبل ﵁ مهمته وقام بها خير قيام؛ لما أرشده النبي ﷺ إلى إتقان فن التركيز.

(إن التركيز سر من أسرار الإنجاز والنجاح والسعادة، وإن الإنسان الذي يريد أن يحقق كل شيء لا يحقق شيئًا، بينما الإنسان الذي يركز تنحاز له الحياة).

واسمع معي إلى هذه القصة الطريفة التي تبين أثر التركيز وضده على نجاح تحقيق الأهداف التي تضعها الشركات والمؤسسات لنفسها، وقد ذكرها «بيتراكونومي» في كتابه الذي ألفه بالاشتراك مع «بوب نيلسون» والمسمى «الإدارة للمبتدئين».

يقول بيتر إيه حاكيًا عن نفسه: (يتذكر بيتر هذا المشهد كما لو أنه حدث بالأمس القريب، فقد قررت شركته أنها في حاجة إلى إعداد خطة استراتيجية بعيدة المدى، وهكذا اصطف فريق الإدارة بأكمله استعدادًا لهذه المهمة، فقاموا بإعداد جداول لجلسات

تخطيطية متعددة بطول اليوم، واستعانوا بخبير استشاري باهظ التكاليف، وأعلنوا للعاملين أن هناك شيئًا تدبره الإدارة العليا.

أخذ أعضاء الفريق الإداري يعملون قلبًا بقلب، ويدًا بيد على إعداد الخطة الاستراتيجية:

(لماذا تعمل الشركة؟ ومن هم عملاؤها؟ وما هي قيمتها؟ وما هي رسالتها؟ وما هي أهدافها؟ وكيف تعرف عندما تتحقق هذه الأهداف؟)

جلسة بعد جلسة أخذت الأفكار العظيمة تظهر تباعًا، وبعد وقت قصير ازدحمت جدران قاعة الاجتماعات بالملصقات الضخمة التي تفيض عن آخرها بالأهداف: تحسين الخدمة للعملاء، تقليل الفاقد من الوقت في إنجاز المشروعات، إصلاح نظام تكييف الهواء في مباني إدارة الشركة.

كانت الأهداف في مجملها أكثر من مائتين، بعدما انتهى آخر اجتماع من اجتماعات التخطيط هنأ المديرون بعضهم البعض على هذا الإنجاز الجماعي، ثم رجع كل منهم إلى أعماله الروتينية، وبعد وقت قصير دخلت كل هذه الأهداف في طي النسيان، وأنزلت

الأوراق التي كانت تضمها من فوق الجدران، وانتهى بها الحال إلى إحدى خزانات الملفات.

وبالتأمل في هذه القصة نجد أن السبب الرئيس في الفشل الذريع الذي منيت به الشركة في تحقيق هذه الأهداف أن المديرين وضعوا الكثير جدًا من الأهداف في محاولة منهم للتغلب على جميع مشكلات الشركة في أسرع وقت ممكن)[1].

وعلى ذلك نقول: إنه لابد من تقليل الأهداف إلى أقل حد ممكن أن تتحقق من خلاله الرسالة؛ لأنه كلما زاد عدد الأهداف قلت قدرتك على التركيز على أي منها، وقلت قدرتك بالتالي على تحقيق أي منها.

مثال: بإعادة صياغة الأهداف في المثال السابق يمكن أن نختار منها:

١) أن أعمل أستاذًا في كلية الطب قسم الأمراض الباطنة.

٢) أن أمتلك عيادة خاصة.

وفيما يلي التطبيق العملي للخطوتين الثالثة والرابعة:

---

(١) (الإدارة للمبتدئين)، ص (١٦٢، ١٦٣).

الجانب	الهدف	أسباب تقديمه على غيره	الزمن
١- الإيماني	١-	١- ٢-	
	٢-	١- ٢-	
٢- الأسري	١-	١- ٢-	
	٢-	١- ٢-	
٣- المهني	١-	١- ٢-	
	٢-	١- ٢-	
٤- المالي	١-	١- ٢-	
	٢-	١- ٢-	

الجانب	الهدف	أسباب تقديمه على غيره	الزمن
٥- الصحي	١-	١-	
		٢-	
	٢-	١-	
		٢-	
٦- الاجتماعي	١-	١-	
		٢-	
	٢-	١-	
		٢-	
٧- الثقافي	١-	١-	
		٢-	
	٢-	١-	
		٢-	
٨- الترفيهي	١-	١-	
		٢-	
	٢-	١-	
		٢-	

الجانب	الهدف	أسباب تقديمه على غيره	الزمن
٩- التطوعي	١-	١- ٢-	
	٢-	١- ٢-	
١٠- التطويري	١-	١- ٢-	
	٢-	١- ٢-	




والآن أخي المؤمن هنيئًا لك
قد قاربت أن تتم أولى
خطواتك على درب
الفاعلية، فواصل معنا السير
تصل إن شاء الله

الأهداف

«الطريق لا تقطعه كاملاً في خطوة واحدة كبيرة،

ولكن تقطعه في خطوات صغيرة كثيرة»

بيتر إيه

الآن وقد نجحت في تحديد رسالتك في الحياة، ووضعت أيضًا رؤية خاصة بكل جانب من الجوانب المهمة في حياتك، آن لك أن تحوِّل كل هدف بعيد إلى أهداف مرحلية يسلم بعضها بعضًا حتى تقودك في النهاية إلى تحقيق هذا الهدف البعيد.

ومثال ذلك إذا كانت رسالتي هي: تخفيف المعاناة عن المرضى في العالم الإسلامي، فإن رؤيتي في الجانب المهني قد تكون أن أحصل على شهادة الدكتوراه في الأمراض الباطنة، والأهداف المرحلية التي توصلني إلى هذه الرؤية هي:

١- الحصول على بكالوريوس الطب والجراحة.

٢- الحصول على ماجستير في الأمراض الباطنة.

٣- الحصول على شهادة الدكتوراه في الأمراض الباطنة.

٤- افتتاح مستشفى خيري بأسعار مخفضة.

ولكي تستطيع أن تضع لنفسك أهدافًا ممكنة التحقيق بحيث

تستطيع بعدها أن تخطط حياتك، فلابد أن تعلم:

(١) صفات وخصائص الهدف الفعال.

(٢) خطوات تحديد الأهداف.

❊ ❊ ❊

أولاً: الخصائص الضرورية للهدف الفعال:

(١) المشروعية:

ونعني بها أن يكون الهدف متوافقًا مع شرع الله تعالى، وذلك حتى لا يصرف الإنسان عمره في تحصيل ما حرم الله أولًا، ثم ليستجلب عون الله وتوفيقه ثانيًا؛ لأن توفيقه سبحانه لا يكون إلا لمن أطاعه واتقاه.

كما قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَـٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾[العنكبوت: ٦٩].

وتوافق الهدف مع شرع الله (لا يتأتى إلا إذا عاش الإنسان في ظلال الإيمان وأنوار الوحي، منطلقًا بجهده لعمارة الدنيا حتى ينال جزاء سعيه في الآخرة، أما القلب الذي لم يشرق عليه نور الرسالة المحمدية فهو قلب مظلم بَوار والعياذ بالله، ديدنه الفساد في الأرض وإن ظن أنه يحسن صنعًا)[١].

(إن الذين لا يأبهون لشرعية الأهداف التي يسعون إلى تحقيقها يحيون حياة مضطربة ممزقة تختلط فيها عوامل البناء

---

(١) (حتى لا تكون كلاًّ)، د. عوض القرني، ص: (١٨).

بعوامل الهدم، الهدف غير المشروع قد يساعد على تحقيق بعض النمو في جانب من جوانب الحياة، لكنه يحط من التوازن العام للشخصية ويفجر في داخلها صراعات مبهمة وعنيفة)[1].

ومهما كان سمو الرسالة فإنه لا يبرر عدم شرعية الهدف يقول ﷺ: «**من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رَدٌّ**»[2].

مثال:

إذا كانت رسالتك هي: (إدخال السرور على قلوب المسلمين)، فلا يجوز مثلًا أن تضع لك هدف: (أن أكون عازفًا على البيانو)؛ لأن نصوص الشارع الحكيم جاءت بتحريم المعازف، ولا يجوز التعويل هنا على قول من شذ من العلماء بإباحة الاستماع للموسيقى.

(٢) الدقة والوضوح:

بأن يكون هدفك واضحًا ومحددًا، لا غموض فيه ولا لبس، (ومن وضوح الهدف أن يكون إيجابيًّا لا سلبيًّا؛ أي أن تحدد ما

(١) (سلسلة بصائر في العلم والثقافة)، (١٠/ ٦٢)، استخلصها من كتب أ.د. عبد الكريم بكار، الفريق العلمي بدار الإعلام.

(٢) رواه مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور، رقم: ٣٢٤٣.

تريده بوضوح، إذ إن من الأخطاء التي يقع فيها كثير من الناس عند سؤاله عن هدفه أنه يذكر لك ما لا يريده، أما ما يريده فهو غير واضح في ذهنه، أو لم يفكر فيه أصلًا.

ومن وضوح الهدف أن تتخيل أكبر قدر ممكن من تفاصيله كأنه منجز متحقق حاصل بين يديك)[1].

فلا تقل مثلًا هدفي في الجانب المهني أن أحصل على وظيفة مرموقة، فما هي هذه الوظيفة المرموقة؟ وكيف تعرف أن وظيفة معينة مرموقة أو غير ذلك؟ فبدلًا من ذلك يمكن أن تقول: هدفي أن أكون مديرًا لشركة في التصدير والاستيراد.

(٣) القابلية للتقويم والقياس:

فلا قيمة لهدف لا يمكن تقويمه أو قياسه، إذ كيف سيمكنك أن تعرف مدى تقدمك نحو هدفك، لا تقل مثلًا: هدفي أن أكون عابدًا لله، وذلك في الجانب الإيماني، بل قل: هدفي أن أصلي كل يوم إحدى عشرة ركعة قيام ليل، وأتلو جزءًا من كتاب الله كل يوم.

إن وضعك لهدفك في صورة كمية يمكن قياسها سوف

---

(١) (حتى لا تكون كلًّا)، د. عوض القرني، ص: (١٩).

يعطيك القدرة على تحقيقه بنجاح؛ لأن معرفتك للتقدم الذي تحرزه حيال هدفك سوف يشجعك ويرفع من روحك المعنوية، ويعطيك الثقة بنفسك، فتوقن أنك قادر بعون الله على تحقيق هدفك.

(٤) القابلية للتحقيق:

وذلك بأن يتسم هدفك بالواقعية والطموح في آن واحد، فكلا طرفي قصد الأمور ذميم، وذلك بأن يكون الهدف بعيدًا عن يدك ولكنه ليس بعيدًا عن عينك، فكثير من الناس يضع أهدافًا بعيدة المنال كل البعد، بحيث يغلب على الظن أنه من المستحيل تحقيقها.

فمثلًا في الجانب الصحي: إذا وضع الإنسان هدف: الوصول إلى الوزن المثالي بفقد ثلاثين كيلوجرامًا من وزنه خلال شهر واحد.

فهذا الهدف ليس واقعيًا بالمرة؛ فهذا الوزن لم يكتسب خلال شهر واحد وبالتالي لن يتخلص الإنسان منه خلال شهر، فتقليل الوزن المستمر والفعال لا يكون إلا كنتيجة لتغيير أسلوب الحياة من حيث عادات التغذية وعادات النشاط، فمثل هذا الإنسان

لابد أن يصاب بالفشل والإحباط عندما يجد أن الشهر قد انقضى ولم يحقق من هدفه شيئًا يذكر.

وفي مقابل ذلك تجد آخر يقول: هدفي في هذا الجانب فقد خمسة كيلوجرامات من وزني خلال خمسة أشهر، فهذا هدف متواضع جدًا لا يشتمل على أي قدر من التحدي، وبالتالي يضيع على الإنسان قدرًا كبيرًا من الإنجازات كان يمكن أن يحصله لو وضع له هدفًا أكثر طموحًا.

ويحكي الدكتور أكرم رضا عن أبيه قائلًا: (وكان أبي رجلًا تمرَّس الحياة، يريد لأبنائه التفوق، وكان يقول لنا: إذا أردت أن تحصل على «جيد جدًّا» فلابد أن تفكر وتعمل للحصول على الامتياز، وإذا كان عملك وتفكيرك لتحصل على «جيد» فاحتمال نجاحك قد يكون بعيدًا)[1].

وفي مثالنا السابق- والخاص بتقليل الوزن- فإن الهدف الواقعي الذي يجمع بين الواقعية والطموح يمكن أن يوضع بهذه الصورة:

(فقد ٤ كيلو جرامات من وزني الزائد شهريًا)

---

(١) (إدارة الذات)، د. أكرم رضا، ص: (٢٢).

(٥) مراعاة الزمن:

يجب أن تكون لأهدافك نقاط بدء ونقاط انتهاء، وذلك بوضع فترات زمنية محددة لتحقيق هذه الأهداف، (فلابد لهدفك من إطار زمني؛ فبالوقت يمكنك أن تحقق أهدافك، بالضبط مثل السماء والنجوم تتحرك جميعها جنبًا إلى جنب)[١].

إن الأهداف التي لا تملك إطارًا زمنيًا ما هي إلا أمنيات، فعندما تحدد لهدفك وقتًا محددًا فإنك تكون أكثر التزامًا، وأعلى تحفيزًا لتحقيق هذا الهدف خلال تلك الفترة.

وننبه هنا على أنه لابد أن يكون الزمن المقدر مناسبًا لتحقيق الهدف بلا إفراط أو تفريط، فإذا كان الزمن غير كافٍ لتحقيق الهدف فقد قضيت على نفسك بالفشل، كمن يريد الحصول مثلًا على شهادة التخرج من كلية الهندسة في عام واحد.

أما إذا كان الزمن زائدًا على حاجة الهدف ففي هذا تضييع للعمر، وخسارة للوقت الذي هو رأس مال الإنسان الحقيقي في

(١) (أسرار قادة التميز)، د. إبراهيم الفقي، ص: (١٧٦).

الحياة، كمن يريد مثلًا التخرج من كلية الهندسة في ثمانٍ سنوات.

وفي الحقيقة فإن هذه النقطة تنبع أساسًا من الإحساس بأهمية الوقت، وقيمته النفيسة التي لا تقاس بذهب ولا فضة، كما كان حال سلفنا الصالح رضي الله تعالى عنهم، فهذا أبو الوفاء علي بن عقيل يحكي عن نفسه فيقول: (إني لا يحل لي أن أضيع ساعة من عمري، حتى إذا تعطل لساني عن مذاكرة ومناظرة وبصري عن مطالعة أعملت فكري في حال راحتي وأنا مستطرح، فلا أنهض إلا وقد خطر لي ما أسطره، وإني لأجد من حرصي على العلم وأنا في الثمانين أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين)[1].

فلا عجب أن وجدنا من إنجازاته رحمه الله كتابًا لم تسمع الدنيا بمثله ألا وهو «كتاب الفنون»، والذي يقع في **ثمانمائة مجلد**.

❋ ❋ ❋

---

(١) (المنتظم) لابن الجوزي، (٩/ ٢١٤)، نقلًا عن: (أين نحن من أخلاق السلف؟)، عبد العزيز الجليل، بهاء الدين عقيل، ص: (١٣١).

ثانيًا: خطوات تحديد الأهداف:

وقبل الشروع في شرح هذه الخطوات نذكرك أن هناك ثلاثة أنواع للأهداف، كما سبق وأن ذكرنا لك:

(١) أهداف بعيدة المدى:

مثال: هدفي في الجانب المهني: أن أكون مالكًا ومديرًا لمصنع للسيارات.

(٢) أهداف متوسطة المدى:

مثال: هدفي في الجانب المهني: الحصول على بكالوريوس الهندسة قسم ميكانيكا، وذلك كخطوة وسيطة في طريق افتتاح مصنع للسيارات.

(٣) أهداف قصيرة المدى:

مثال: هدفي في الجانب المهني: اجتياز دورة إدارية في كيفية إدارة الأعمال.

وكل إنسان صاحب رسالة في الحياة لكي يستطيع أن يحقق رسالته فلابد أن يمر بكل هذه المراحل السابقة من وضع الرسالة، ثم تحديد الرؤية (الأهداف بعيدة المدى)، ثم ترجمة هذه الرؤية إلى أهداف متوسطة المدى وأهداف قصيرة المدى لكي يستطيع أن

يبدأ السعي في تحقيقها؛ لأن مشوار الألف ميل لابد أن يبدأ بخطوة واحدة.

وإذا أردنا أن نضرب مثالًا عمليًّا على كل هذه المراحل فلن نجد أعظم من نبينا محمد ﷺ، وقد فصلنا ذلك في الفصل الأول من هذا الكتاب.

*** خطوات تحديد الأهداف:**

(١) حدد رسالتك العامة في الحياة:

(كما سبق).

(٢) حدد رؤيتك في كل جانب من الجوانب العشرة، واضعًا أهدافك الاستراتيجية في الحياة:

(كما سبق).

(٣) ضع الأهداف المرحلية:

مراعيًا أن تتحقق فيها صفات الهدف الفعال، ويتم ذلك بأن تجزئ كل هدف استراتيجي إلى أهداف مرحلية أصغر منه، بحيث كلما تحقق منها هدف اقتربت أكثر نحو هدفك البعيد، حتى يتم تحقيقه باستكمال تحقيق الأهداف المرحلية.

ويطبق الإمام ابن القيم هذا المعنى على هدف الوصول إلى الله

تبارك وتعالى ونيل رضاه سبحانه، فيقول الإمام: (العبد من حين استقرت قدمه في هذه الدار فهو مسافر إلى ربه، ومدة سفره هي عمره الذي كتب له، فالعمر هو مدة سفر الإنسان في هذه الدار إلى ربه، ثم قد جعلت الأيام والليالي مراحل لسفره، فكل يوم وليلة مرحلة من المراحل، فلا يزال يطويها، مرحلة بعد مرحلة حتى ينتهي السفر.

فالكيِّس الفَطِن هو الذي يجعل كل رحلة نصب عينيه فيهتم بقطعها سالمًا غانمًا، فإذا قطعها جعل الأخرى نصب عينيه، ولا يطول عليه الأمد فيقسو قلبه ويمتد أمله، ويحضر بالتسويف والوعد والتأخير والمطل، بل يعد عمره تلك المرحلة الواحدة، فيجتهد في قطعها بخير ما بحضرته، فإنه إذا تيقن قصرها وسرعة انقضائها هان عليه العمل فطوعت له نفسه الانقياد إلى التزود) اهـ[1].

وانظر إلى ما حدث من الإمام الفقيه موفق الدين أحمد بن قدامة رحمه الله:

كان له هدف واضح يسعى إليه في حياته، ألا وهو: (نشر العلم بأحكام الفقه الإسلامي

(١) (طريق الهجرتين وباب السعادتين)، لابن القيم، ص (٣٣٧).

بين الأمة)، لذلك نجده- رحمه الله- قد قسَّم هذا الهدف الاستراتيجي إلى أهداف مرحلية يسلم بعضها إلى بعض حتى وصل إلى هدفه، فكانت أهدافه المرحلية على النحو التالي:

(١) وضع كتاب «عمدة الفقه» للمبتدئين: وهو كتاب مختصر لطيف يذكر فيه قولًا واحدًا في المسألة هو القول الراجح عنده في مذهب الإمام أحمد، مع ذكر الأدلة عليه من السنة الصحيحة غالبًا.

(٢) وضع كتاب «المقنع» للمتوسطين: ويذكر فيه القولين في مذهب الإمام أحمد بدون ذكر الأدلة.

(٣) وضع كتاب «الكافي» للمتقدمين: ويذكر فيه القولين في مذهب الإمام أحمد في كل مسألة مع ذكر الأدلة.

(٤) وضع كتاب «المغني» للمنتهين: وهو كتاب ضخم من كتب الفقه المقارن يذكر فيه مذاهب الأئمة والعلماء ويرجح بينها غير متقيد بمذهب معين.

وهكذا ساهم هذا الإمام الفذ في نشر العلم بين شباب هذه الأمة لما أحسن رحمه الله تحديد أهدافه وأتقن تقسيمها إلى أهداف مرحلية يمكنه من خلال تحقيقها أن يقيس مدى تقدمه نحو هدفه الاستراتيجي.

مثال:

إذا كان هدفي الاستراتيجي المهني هو: (نيل درجة أستاذ في الأمراض الباطنة)، فيمكننا تقسيمه إلى الأهداف الجزئية التالية:

(١) نيل البكالوريوس في الطب والجراحة بتقدير ممتاز مع كوني من العشرين الأوائل.

(٢) نيل درجة الماجستير في الأمراض الباطنة.

(٣) الحصول على درجة الدكتوراه في الأمراض الباطنة.

(٤) الإشراف على عدد من رسالات الماجستير والدكتوراه للتأهل لدرجة الأستاذية.

(٤) ضع الإطار الزمني لكل هدف مرحلي:

بمعنى أن نحدد لكل هدف من أهدافنا نقطة بدء ونقطة نهاية زمنيتين، وقد تحدثنا عن ذلك تفصيليًّا في خصائص الهدف الفعال، وفي مثالنا السابق: وهو الخاص بهدف الحصول على مركز أستاذ في الأمراض الباطنة كهدف استراتيجي مهني يمكننا أن نضع له إطارًا زمنيًّا كما يلي:

الأهداف			الزمن المقدر
الهدف الاستراتيجي	الحصول على مركز أستاذ الأمراض الباطنة.		١٦ سنة
الأهداف المرحلية	١	بكالوريوس الطب والجراحة بتقدير ممتاز.	٦سنوات
	٢	ماجستير الأمراض الباطنة.	٣سنوات
	٣	الدكتوراه في الأمراض الباطنة.	٤سنوات
	٤	الإشراف على عدد من رسائل الماجستير ثم الدكتوراه.	٣سنوات

وتذكر أيها المؤمن أن هدفًا بلا موعد نهائي لتحقيقه ليس إلا نية طيبة، فعليك أن تحدد موعدًا للبدء وموعدًا للانتهاء لكل هدف تضعه لنفسك، فليس من الممكن أن تكون جادًّا في تحقيق هدفك إلا بوضع إطار زمني له؛ لأنه بدون الإطار الزمني

سيسهل عليك أن تؤجل وتتباطأ، وبخاصة في تلك الأهداف التي تستغرق سنين لإنجازها.

والآن دعنا نطبق الخطوتين الثالثة والرابعة عبر هذا الجدول لنستكمل ما بدأناه سابقًا من وضع الرسالة والرؤية:

الجانب	الأهداف الاستراتيجية	الأهداف المرحلية	الزمن
١- الإيماني	١-	١-	
		٢-	
		٣-	
	٢-	١-	
		٢-	
		٣-	
٢- الأسري	١-	١-	
		٢-	
		٣-	

الجانب	الأهداف الاستراتيجية	الأهداف المرحلية	الزمن
	٢-	١-	
		٢-	
		٣-	
٣- المهني	١-	١-	
		٢-	
		٣-	
	٢-	١-	
		٢-	
		٣-	
٤- المالي	١-	١-	
		٢-	
		٣-	
	٢-	١-	
		٢-	
		٣-	

الجانب	الأهداف الاستراتيجية	الأهداف المرحلية	الزمن
٥- الصحي	١-	١-	
		٢-	
		٣-	
	٢-	١-	
		٢-	
		٣-	
٦- الثقافي	١-	١-	
		٢-	
		٣-	
	٢-	١-	
		٢-	
		٣-	
٧- الاجتماعي	١-	١-	
		٢-	
		٣-	

الجانب	الأهداف الاستراتيجية	الأهداف المرحلية	الزمن
	٢-	١-	
		٢-	
		٣-	
٨- الترفيهي	١-	١-	
		٢-	
		٣-	
	٢-	١-	
		٢-	
		٣-	
٩- التطوعي	١-	١-	
		٢-	
		٣-	
	٢-	١-	
		٢-	
		٣-	

الجانب	الأهداف الاستراتيجية	الأهداف المرحلية	الزمن
١٠- التطويري	١-	١-	
		٢-	
		٣-	
	٢-	١-	
		٢-	
		٣-	

(٥) ضع الخطة السنوية:

بمعنى أن تحدد الأهداف المرحلية التي يمكنك إنجازها خلال سنة واحدة في جميع جوانب رؤيتك العشرة، ثم تحدد الإجراءات والخطوات التنفيذية التي يتعين عليك اتخاذها للاقتراب من تحقيق أهدافك المرحلية خلال تلك السنة، وذلك أيضًا في جميع جوانب رؤيتك (الإيمانية ، الأسرية ، المهنية ..).

وفي المثال السابق ذكره:

إذا كنت قد انتهيت هذا العام من الحصول على بكالوريوس

الطب والجراحة فإن أول هدف مرحلي لك يكون هو (الحصول على درجة الماجستير في الأمراض الباطنة).

وأول إجراء مرحلي في هذا العام هو التسجيل في إحدى الجامعات لتحضير الماجستير في الأمراض الباطنة، وليكن في جامعة هامبورج مثلًا بألمانيا، وهذا الإجراء قد يتم على خطوتين:

(١) مراسلة الجامعة للحصول على الإذن بالتسجيل في درجة الماجستير، ويستلزم أن يكون ذلك قبل بدء الدراسة بدرجة كافية. فليكن مثلًا في شهر مارس، وتاريخ انتهاء هذا الإجراء يكون في شهر مايو.

(٢) بدء الدراسة في الجامعة: وتاريخ البدء هنا قد يكون في شهر أكتوبر، وهكذا.

ولابد أن تتكرر هذه العملية مع بداية كل عام لتضع خطة سنوية لتحديد الإجراءات التي يتطلبها تحقيق أهدافك المرحلية في كل جوانب حياتك؛ ما يجعلك بفضل الله تقترب عامًا بعد عام من تحقيق رؤيتك ورسالتك.

والآن دعنا ننفذ الخطوة الخامسة ونضع الخطة السنوية عبر هذا الجدول:

الجانب	الأهداف المرحلية خلال سنة	الإجراءات التنفيذية	الزمن	
			بداية	نهاية
١- الإيماني	١ –	١ –		
		٢ –		
٢- المهني	١ –	١ –		
		٢ –		
٣- الأسري	١ –	١ –		
		٢ –		
٤- المالي	١ –	١ –		
		٢ –		
٥- الصحي	١ –	١ –		
		٢ –		
٦- الاجتماعي	١ –	١ –		
		٢ –		
٧- الثقافي	١ –	١ –		
		٢ –		

الجانب	الأهداف المرحلية خلال سنة	الإجراءات التنفيذية	الزمن	
			بداية	نهاية
٨- الترفيهي	١-	١-		
		٢-		
٩- التطوعي	١-	١-		
		٢-		
١٠- التطويري	١-	١-		
		٢-		

(٦) المتابعة الشهرية والأسبوعية واليومية لسير الخطة السنوية:

عليك أن تضع بعد ذلك خطة شهرية ثم أسبوعية ثم يومية للسير في تنفيذ تلك الإجراءات المرحلية التي وضعتها في خطتك السنوية، بحيث تتابع يوميًا مدى تقدمك نحو هدفك.

يخبرنا «براين كريسي» أحد أكبر المختصين في التخطيط التسويقي والإنتاجي، وأحد مُلّاك شركة «نايتنيجيل أند كونت» أن مجرد كتابة القائمة الأسبوعية لتنفيذ بعض الأشياء يزيد من الإنجاز إلى حد ٣٠٪، تصور فقط قائمة تأخذ منك ١٥ دقيقة

تزيد ٣٠٪ من إنجازاتك[١].

وفي مثالنا السابق حددنا أن أول إجراء مرحلي هو: (مراسلة جامعة هامبورج للتسجيل في درجة الماجستير)، فيكون هدف هذا الأسبوع في الجانب المهني:

(١) الاتصال بالسفارة الألمانية لمعرفة عنوان الجامعة.

(٢) البحث عن مواقع للجامعة على الإنترنت، ومعرفة كيفية مراسلتها ونظم الدراسة فيها والقيام بالتسجيل فيها.

وهكذا في كل جانب من جوانب حياتك، كل هدف استراتيجي في رؤيتك، كل رسالة وضعتها لنفسك في نواحي حياتك لابد أن تقترب منه في كل يوم ولو بوصة واحدة، (استعمل قاعدة الـ ١٥ سنتيمترًا، تصرف فورًا وتقدم على الأقل لمسافة ١٥ سنتيمترًا تجاه هدفك كل يوم)[٢].

والآن أخي المؤمن: اكتب التفاصيل الدقيقة «لسيناريو» حياتك المباركة إن شاء الله عبر هذه الجداول المقترحة كنماذج للخطط الشهرية والأسبوعية واليومية:

---

(١) (كيف تخطط لحياتك)، د. صلاح صالح الراشد، ص: (١٦١).

(٢) (مفاتيح النجاح العشرة)، د. إبراهيم الفقي، ص: (٧٩).

نموذج المتابعة الشهرية

الجانب	الإجراءات التنفيذية خلال شهر	الزمن	
		بداية	نهاية
١- الإيماني	١-		
	٢-		
٢- الأسري	١-		
	٢-		
٣- المهني	١-		
	٢-		
٤- الصحي	١-		
	٢-		
٥- المالي	١-		
	٢-		
٦- الثقافي	١-		
	٢-		
٧- الاجتماعي	١-		
	٢-		
٨- الترفيهي	١-		
	٢-		

٩- التطوعي	١-		
	٢-		
١٠- التطويري	١-		
	٢-		

نموذج المتابعة الأسبوعية

الجانب	الأنشطة التنفيذية خلال الأسبوع من ...... إلى						
	السبت	الأحد	الاثنين	الثلاثاء	الأربعاء	الخميس	الجمعة
١- الإيماني							
٢- الأسري							
٣- المهني							
٤- الصحي							
٥- المالي							
٦- الاجتماعي							
٧- الثقافي							
٨- الترفيهي							
٩- التطوعي							
١٠- التطويري							

نموذج المتابعة اليومية

التاريخ:.........

الجانب	النشاط	الزمن	ملاحظات
١- الإيماني	١-		
	٢-		
٢- الأسري	١-		
	٢-		
٣- المهني	١-		
	٢-		
٤- الصحي	١-		
	٢-		
٥- المالي	١-		
	٢-		
٦- الاجتماعي	١-		
	٢-		
٧- الثقافي	١-		
	٢-		

الجانب	النشاط	الزمن	ملاحظات
٨- التطوعي	١-		
	٢-		
٩- الترفيهي	١-		
	٢-		
١٠- التطويري	١-		
	٢-		







تذكر أن

* لكي يمكنك تحويل الرؤية إلى أهداف لابد أن تراعي:

(١) أن تشتمل أهدافك على صفات الهدف الفعال، وهي:

١- المشروعية.

٢- الدقة والوضوح.

٣- القابلية للتقويم والقياس.

٤- القابلية للتحقيق.

٥- مراعاة الزمن.

(٢) أن تتبع الخطوات الصحيحة في تحديد أهدافك، وهي:

١- تحديد الرسالة.

٢- تحديد الأهداف الاستراتيجية في جوانب الرؤية العشرة.

٣- تقسيم الأهداف الاستراتيجية إلى أهداف مرحلية.

٤- وضع الإطار الزمني لكل هدف مرحلي.

٥- وضع الخطة السنوية.

٦- وضع الخطة الشهرية.

٧- المتابعة الأسبوعية واليومية لسير الخطة الشهرية.

والآن أخي المؤمن أبشر فقد
أتممت أولى خطواتك على

درب الفاعلية

وبقيت لك معنا خطوات ...
فواصل السير تصل سالمًا غانمًا
إن شاء الله

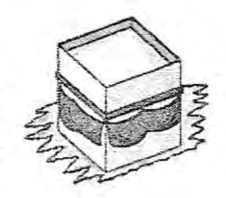
كيف تحقق أهدافك؟

أولاً: الوسائل الإيمانية

(١) سهام الدعاء لا تخطئ:

(يجمع السلطان نور الدين محمود الأموال لشراء الأسلحة والعتاد استعدادًا لمعركة فاصلة مع الصليبيين، فيعجزه المال، فيستشير من حوله، فينصحونه بأن يأخذ من الأموال التي أوقفها للإنفاق على طلبة العلم والعلماء، فيرد رحمه الله قائلًا: **والله إني لا أرجو النصر إلا بأولئك .. كيف أقطع أرزاق قوم يقاتلون عني وأنا نائم بسهام لا تخطئ، وأصرفها إلى قوم لا يقاتلون عني إلا إذا رأوني بسهام قد تخطئ وقد تصيب؟!**).

بهذه الكلمات صاغ السلطان نور الدين رحمه الله دور الدعاء معنا في تحديد رسالتنا وتوضيح رؤيتنا وبيان أهدافنا، هو سهمك الذي لا يخطئ، ترمي به في كبد الهدف بعد أن تكون قد شددتَ وَتَرك وأنْصبتَ جسدَك وهيأت روحَك وحددت مبتغاك في إصابته، ولم يبق لك إلا إطلاق السهم من عقاله ليصيب مرادك.



وهو ذات المشهد يضربه الخليفة العباسي القائم بأمر الله بن القادر في التضرع إلى الله تعالى عندما تغلب عليه المفتتن الفاطمي المسمى بالبساسيري،

فكتب كتابًا قام بتعليقه على جدران الكعبة جاء فيه: (إلى الله العظيم من المسكين عبده .. اللهم إنك العالم بالسرائر المطلع على الضمائر .. اللهم إنك غني بعلمك واطلاعك على أخلاقي عن إعلامي .. هذا «أي البساسيري» عبد قد كفر نعمتك وما شكرها .. وألغى العواقب وما ذكرها .. وأطغاه حلمك حتى تعدى علينا بغيًا .. وأساء إلينا عتوًّا وغدرًا .. اللهم قَلَّ الناصر واعتز الظالم .. وأنت المطلع العالم المنصف الحاكم .. بك نعتز عليه وقد حاكمناه إليك .. وتوكلنا في إنصافنا منه عليك .. ورفعنا ظلامتنا هذه ووثقنا في كشفها بكرمك .. فاحكم بيننا بالحق وأنت خير الحاكمين).

وقد قتل البساسيري بعد تعليق الرسالة بقليل.

ومن قبلهم رسمها النبي ﷺ معلمًا واضحًا في طريق الله تعالى، والمشهد يرسم نفسه في غزوة بدر وهو يدعو ربه ويبتهل وتنهمر دموعه، وأبو بكر يرفأ به ينادي: (بعض مناشدتك ربك يا رسول الله، إن الله منجز لك ما وعدك)، والمصطفى يرفع الأكف مبتهلًا: **«اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض أبدًا»**[1].

رسالة واضحة ورؤية دقيقة، وخطوات تلو خطوات لتحويلها

---

(١) رواه مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، رقم: ٣٣٠٩.

إلى واقع ملموس، ما كان لها أن تعبر إلا بموافقة ربانية وتوفيق إلهي، مستجلب بأكف مرفوعة وأقدام مصفوفة وأعين دامعة وقلوب خاشعة.

فهلم أخي المؤمن، واستجب لنداء ربك إذ يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ﴾ [الشرح: ٧].

قال ابن عباس: (فإذا فرغت من صلاتك فاجتهد في الدعاء).

وها نحن نقولها لك أخي المؤمن: «فإذا فرغت فانصب»، فإذا فرغت من قراءة هذا الكتاب ووضعت رسالتك ورؤيتك وأهدافك فاجتهد في الدعاء والتضرع إلى الله تعالى أن يحقق لك تلك الطموحات العالية.

(٢) قوة التوكل على الله:

(كنزي عجزي) نداء أطلقه الإمام بديع الزمان النورسي رحمه الله لكل من رأى لحياته قيمة، فتلمس معالم رسالتها ورسم حدود رؤيتها وخطط للوصول إلى رفعتها، ومن ثم أسندها إلى ركنها الشديد، وألجأها إلى من إذا سئل أعطى، وإذا دعي أجاب، وإذا نودي لبى.

وتأمل معي هذا المشهد للمجاهد الناصر صلاح الدين- رحمه الله- لتعرف كيف تصاغ منظومة التوكل مع الرسالة والرؤية والأهداف:

(بعد أن فتح صلاح الدين بيت المقدس واستردها من أيدي الصليبيين وحقق رؤيته، جاءت الحملة الصليبية الثالثة تزحف حتى وصلت إلى أعتاب بيت المقدس، وضربت الحصار على بيت المقدس، وصلاح الدين قد بذل كل ما بوسعه من أسباب للدفاع عن النفس والأرض والعرض، وعبأ جيشه، واجتمع بقادته وبالأمراء لحضهم على الجهاد، وقد ضاق صدره لعدم اتفاق الأمراء معه، وتقسم فكره واشتدت كربته، فبات ليلته تلك حزينًا مهمومًا قلقًا على بيت المقدس.

وكانت ليلة الجمعة ولم ينم حتى طلوع الصبح، وعند الصلاة جاءه وزيره ابن شداد، ولندعه يروي لنا ما كان بينه وبين المجاهد الناصر رحمه الله.

قال: دخلت عليه فرأيته في كربه، فقلت له: قد وقع لي أمر، أعرضه عليك؟

قال صلاح الدين: وما هو؟

قال: من كثر اهتمامه بها قد حمل على نفسه وقد عجزت أسبابه الأرضية عن حمله ينبغي له أن يرجع إلى الله، وهذا يوم الجمعة وهو أبر أيام الأسبوع، فيه دعوة مستجابة، ونحن في أبر موضع، فالسلطان يغتسل ويتصدق بصدقة خفية بحيث لا يشعر أحد أنها منه، ويصلي بين الأذان والإقامة ركعتين يناجي فيهما ربه، ويفوض مقاليد الأمور إليه، ويعترف بالعجز عما تصرف له.

وتقول في باطنك: (إلهي قد انقطعت الأسباب الأرضية في نصرة دينك، ولم يبق إلا الإخلاد إليك والاعتصام بحبلك، والاعتماد على فضلك، أنت حسبي ونعم الوكيل)، فإن الله أكرم من أن يخيب قصدك.

ويتابع ابن شداد قائلًا: ففعل ذلك كله، وصليت إلى جنبه، وصلى الركعتين بين الأذان والإقامة، ورأيته ساجدًا ودموعه تتقاطر على شبيبته، ثم على سجادته، ولا أسمع ما يقول رحمه الله، فلم ينقض ذلك اليوم حتى وصلت الأخبار أن الخلاف قد دب في معسكر الصليبيين، وأنهم قد قرروا الرحيل عن حصار القدس).

وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾.

[الطلاق: ٣]

ولتعلم أنه من تمام التوكل على الله أن يأخذ المؤمن بما يستطيع تحصيله من الأسباب: و(لقد علمنا الرسول ﷺ أن نبذل الأسباب التي نستطيعها في تحصيل ما نريد، ثم ندعو الله تعالى، ولذلك لما أراد الرسول ﷺ فتح مكة وضع العساكر والحرس على أنقاب المدينة لئلا يتسرب الخبر إلى مكة، وبذل جميع الأسباب المادية الممكنة، ثم توجه إلى الله تعالى بالدعاء أن يعمي الأخبار عن قريش، ولما قال له ربيعة بن كعب: أسألك مرافقتك في الجنة. قال له عليه الصلاة والسلام: «**أعني بكثرة السجود**»[1].

ومما يذكر عن عمر رضي الله عنه «أنه رأى إبلًا جرباء فسألهم: ماذا تصنعون لعلاج هذه الإبل؟ قالوا: عندنا عجوز صالحة نذهب إليها فتدعو لنا. فقال رضي الله عنه: اجعلوا مع دعاء العجوز شيئًا من القطران»[2].

(٣) اجتناب الذنوب والمعاصي:

تجنُّب الذنوب والمعاصي من أعظم المعينات على تحقيق الأهداف؛ إذ إنها تؤدي إلى انعكاسات سلبية في ميدان العمل،

---

(١) رواه مسلم، رقم: ٤٨٩.

(٢) (قضايا في المنهج)، الشيخ سلمان بن فهد العودة، ص: (٥٨، ٥٩).

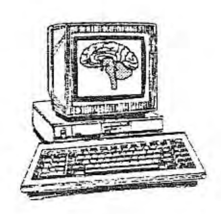
فهي تمحق بركة العمل وتفشل ريحه، وقد تنبه إلى هذا وكيع بن الجراح رحمه الله عندما شكا إليه الشافعي - وكان تلميذه - ضعف الحفظ وبطء التعلم، فأجابه بأن المعاصي مصدر من مصادر ضعف التحصيل وتردي الحفظ، وقد دون الشافعي ذلك الجواب بقوله:

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يؤتاه عاصي

فالمعاصي إذا كثرت تراكمت على القلب والعقل وسدت منافذ العلم الصحيح وعاقت التحصيل بدرجة ما، قال الله تعالى: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

وعند ترك المعاصي والتحرز منها استجابة لأمر الله وطاعة له تزكو النفس ويرتفع شأنها، وتتبارك أعمالها وتكون أكثر صفاءً ووضوحًا، وأقدر على التمييز والفهم، وتمتلك الفرقان الذي به تعرف الحق من الباطل، والنافع من الضار، والصحيح من السقيم.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].



ثانيًا: برمجة العقل الباطن

«لا تجعل رؤاك وأحلامك تغيب عن ذهنك أبدًا؛ فهي بنات روحك، والصورة المبدئية لما ستكون عليه إنجازاتك النهائية»

نابليون هيل

أخي المؤمن: هل تذكر كم مرة نسيت أمرًا ما، كاسم شخص أو مكان أو بلد، وعبثًا حاولت أن تتذكره فلم تنجح، ثم فجأة وأنت منشغل بأمر آخر لا علاقة له تمامًا بذلك الاسم تذكرته وكأن أحدًا ما أخبرك به؟

هل حدث لك أنه كان يتعين عليك الاستيقاظ مبكرًا في ساعة معينة على غير عادتك، فإذا بك تنتفض من نومك قبل الموعد بدقائق وكأن أحدًا أيقظك؟

هل حدث لك أنك كنت أمام مشكلة مستعصية لا تستطيع حلها، فإذا بك بعد فترة قصيرة يقفز الحل إلى رأسك فجأة وبدون سابق إنذار؟

هل حدث أنك كنت تقود سيارتك وذهنك مشغول بالتفكير في عملك أو أسرتك أو دعوتك وفي نفس الوقت تقود سيارتك

بكفاءة تامة؟

إن الرابط بين كل هذه المواقف السابقة هو العقل الباطن، هو الذي ذكرك بالاسم الذي نسيته، وأيقظك من نومك على غير عادتك، وهو الذي أهداك حل المشكلة بعد أن أعطيته إياها ونسيتها، وهو الذي كان يقود سيارتك ويتحكم بجوارحك بينما عقلك الواعي منشغل بالتفكير في أمر آخر تمامًا.

فالعقل الباطن يمثل طاقة هائلة لو أحسن الإنسان استغلالها فإنه يكون خير معين له بعد الله عز وجل على تحقيق أهدافه، فالعقل الباطن هو الذي يقود أحاديثنا ورؤانا وافتراضاتنا وقناعاتنا، أما العقل الواعي فهو الذي يصوغ حياتنا ومشاعرنا ونفسياتنا تبعًا لتلك الرؤى والافتراضات والقناعات.

ولذلك لما ساد في الغرب افتراض داروين في نظريته "أصل الأنواع"، والتي تقضي بأن أصل الإنسان هو القرد، أي أن الإنسان حيوان متطور، فإن هذا الافتراض شكَّل حياة الغربيين وسلوكياتهم، فكانت تلك الفوضى الجنسية والأخلاقية العارمة التي لم يعرف لها التاريخ مثيلًا.

وعكس ذلك في المجتمعات الإسلامية عندما كانت مستمسكة بشرع الله تعالى الذي أخبرنا في كتابه عن تكريمه للإنسان.

﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾ [الإسراء: ٧٠] .

وكيف أنه خلق آدم بيده سبحانه وتعالى، ونفخ فيه من روحه، فهذا الافتراض لما ساد في بلاد الإسلام سادت العفة والطهارة وقيم الحياء.

والفرق بين الحالتين فقط هو الافتراض الذي استقر في العقل الباطن، فهو الموجّه الحقيقي للسلوك الإنساني، فالعقل الواعي كالفلاح الذي يضع البذرة في التربة، والعقل الباطن كالتربة التي تحوِّل البذور إلى ثمار. العقل الواعي كقائد الطائرة الذي يوجهها ويقودها، والعقل الباطن كالمحركات النفاثة التي تدفع الطائرة وترتفع بها مئات الآلاف من الأمتار.

(وإذا اعتبرنا أن العقل الحاضر هو معد برامج الكمبيوتر، والعقل الباطن هو عقل الكمبيوتر، فإن معد البرامج يجمع المعلومات من الخارج، ويغذي بها عقل الكومبيوتر، فمثلًا لو أن معد البرامج غذى الكومبيوتر بالرسائل الآتية: أنا خجول ، أنا لا أستطيع الامتناع عن التدخين، أنا أشعر بالضيق، أنا عصبي المزاج، أنا لا أستطيع مزاولة الألعاب الرياضية. فإذا أدخل هذا البرنامج إلى الكومبيوتر فإن الذي سيظهر على شاشة الجهاز بالضبط هو: "أنا خجول أنا لا أستطيع الامتناع عن التدخين..." إلخ.

فوظيفة العقل الحاضر هي تجميع المعلومات وإرسالها إلى العقل الباطن ليغذيه بها، وهذا الأخير لا يعقل الأشياء، فهو ببساطة يخزن المعلومات ويقوم بتكرارها فيما بعد لا أكثر ولا أقل، فلو حدث أن رسالة ما تبرمجت لمدة طويلة ولمرات عديدة فإنها ستترسخ وتستقر في مستوى عميق من العقل الباطن)[1].

القاعدة الذهبية في برمجة العقل الباطن:

هي أن العقل الباطن لا يفرق بين الصورة الواقعية والصورة التخيلية، فإذا استخدم الإنسان حواسه الخمس في رسم صورة تخيلية لأهدافه وقد تحققت وجعل يكررها على نفسه لفترات طويلة فإن هذه الصورة ستستقر في عقله الباطن، ويصدقها ويتعامل مع صاحبها كأنها قد تحققت فعلًا، فيفجر فيه الإرادة والعزيمة والطاقة اللازمة لتحقيق هذه الأهداف.

القرآن والسنة وبرمجة العقل الباطن:

ولأن هذا الدين دين الله تعالى العليم الحكيم، الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير، ولأن نبينا ﷺ ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى؛ فإنك تجد القرآن الكريم والسنة النبوية قد حفلا بأمثلة لا تحصى تدلل على استخدام هذه القاعدة الذهبية في

---

(١) (قوة التحكم في الذات)، د. إبراهيم الفقي، ص: (٣٠).

برمجة العقل الباطن قبل أن يكتشفها العلماء بأكثر من ألف وأربعمائة عام، وإليك بعضًا من هذه الأمثلة:

أولاً: القرآن:

تميز القرآن الكريم بأسلوب خاص في التعبير يعتمد على مخاطبة النفس من جميع منافذ إدراكها من سمع وبصر وحس ولمس وذوق وشم؛ ما يجعل له أعظم الأثر في تغيير سلوك الإنسان عن طريق برمجة العقل الباطن، وهو ما أسماه سيد قطب رحمه الله «التصوير الفني في القرآن».

(لقد كانت السمة الأولى للتعبير القرآني هي اتباعه لطريقة تصوير المعاني الذهنية والحالات النفسية وإبرازها في صورة حسية، والسير على طريقة تصوير المشاهد الطبيعية والحوادث الماضية والقصص المروية والأمثال القصصية ومشاهد القيامة وصور النعيم والعذاب والنماذج الإنسانية..كأنها كلها حاضرة شاخصة بالتخيل الحسي الذي يفعمها بالحركة المتخيلة.

فما فضل هذه الطريقة على الطريقة الأخرى التي تنقل المعاني والحالات النفسية في صورتها الذهنية التجريدية وتنقل الحوادث والقصص أخبارًا مروية وتعبر عن المشاهد تعبيرًا لفظيًّا لا تصويريًا

تخيليًّا، يكفي لبيان هذا الفضل أن نتصور هذه المعاني كلها في صورتها التجريدية، وأن نتصورها بعد ذلك في الهيئة الأخرى التشخيصية.

إن المعاني في الطريقة الأولى تخاطب الذهن والوعي وتصل إليهما مجردة من ظلالها الجميلة، وفي الطريقة الثانية تخاطب الحس والوجدان، وتصل إلى النفس من منافذ شتى، من الحواس بالتخيل، ومن الحس عن طريق الحواس، ومن الوجدان المنفعل بالأصداء والأضواء، ويكون الذهن منفذًا واحدًا من منافذها الكثيرة إلى النفس لا منفذها الوحيد)[1].

وخذ مثالًا على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾

[التوبة: ٣٤، ٣٥]

تدبر في ألفاظ هذه الآية وكيف ترسم لك هذه الصورة المرعبة لعذاب مانعي الزكاة، وتخاطب بها كل مداخل الإدراك لديك:

---

(١) نقلًا عن (آفاق بلا حدود)، د. محمد التكريتي، ص (٢٠٢، ٢٠٣).

* البصر: هل ترى الذهب والفضة قد تحولا إلى سائل رهيب؟

* السمع: هل تسمع صوت الجلد وهو يحترق؟

* الحس: هل تحس بتبكيت الله لهم في قوله: ﴿ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡنِزُونَ ﴾؟ هل تحس بطعم العذاب الذي يتذوقونه بكل جوارحهم؟

والآن قارن بين تأثير هذه الآية فيك بعد ما تدبرتها وبين تأثير هذه الجملة: (مانع الزكاة يعذب بماله في النار)، لاشك أن التأثير أقل بكثير في الحالة الثانية، فسبحان العلي القدير الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

ثانيًا: السنة:

إن المتأمل في سنة النبي ﷺ يعلم أنه كان معلمًا قديرًا في برمجة العقل الباطن من أجل شحذ طاقة المؤمنين لتحقيق أهدافهم، وانظر إلى هذه الأمثلة الرائعة من سنته ﷺ في ذلك:

قال البراء رضي الله عنه: لما كان يوم الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ منها المعاول، فاشتكينا ذلك لرسول الله ﷺ، فجاء وأخذ المعول فقال: «بسم الله»، ثم ضرب ضربة، وقال: «الله أكبر، أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأنظر قصورها الحمر

الساعة»، فضرب الثانية فقطع آخر، فقال: «الله أكبر أعطيت فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن الأبيض الآن»، ثم ضرب الثالثة، فقال: «بسم الله» فقطع بقية الحجر، فقال: «الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني»[1].

ويقول ﷺ: «والله ليُتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه»[2].

وبهذه البرمجة النبوية لعقول الصحابة ﷺ، وزرع الهدف في قلوبهم يومًا بعد يوم؛ تفجرت من نفوسهم ينابيع الإرادة والتحدي، وامتلكوا طاقات جبارة، فنجحوا بعون الله في تحقيق هذا الإنجاز غير المسبوق في تاريخ البشرية، وأنشأوا دولة لم يعرف لها الزمان مثالًا في وقت لا يعد في حساب الأمم شيئًا.

* * *

---

(١) (الرحيق المختوم)، للمباركفوري، ص: (٣١٨)، والحديث رواه أحمد برقم: ١٧٩٤. وحسّن الحافظ ابن حجر إسناده في الفتح، (٧/ ٣١٨)، وقال الألباني في تعليقه على فقه السيرة للغزالي: إسناده حسن (فقه السيرة، ص: ٣١٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام: رقم: ٢٢٤٣، وباب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه، رقم: ٣٥٦٣.



والآن ماذا بعد الكلام؟

بعد هذه الجولة السريعة حول العقل الباطن وأثره في تحقيق أهداف الإنسان؛ تعالَ الآن لنهديك بعض التمارين اليومية التي تساعدك على برمجة عقلك الباطن وتوظيفه؛ لكي يمدك بالإرادة والطاقة، ويعينك بإذن الله على تحقيق أهدافك:

(١) التخيل والتصور[١]:

بمعنى أن تتخيل أهدافك بتفاصيلها وكأنها منجزة متحققة بين يديك كأنك تراها بعينك وتسمعها بأذنك وتحسها بجوارحك ومشاعرك كلها، فإذا كان هدفك مثلًا في الجانب المهني أن تصبح مالكًا ومديرًا لمصنع سيارات، فتخيل شكل المصنع وصور السيارات التي ينتجها، واسمع نفسك وأنت توجه التعليمات إلى مرءوسيك وعمالك، وأشعر نفسك بالفرحة الغامرة لنجاحك في إبرام صفقة كبيرة.

بمعنى أن تدخل في حالة ذهنية صورية سمعية شعورية تتمثل فيها تحقيق الأهداف، وسيقوم ذلك ببرمجة عقلك الباطن ويبذر فيه

---

(١) (آفاق بلا حدود)، د. محمد التكريتي، ص: (٥٥) بتصرف. و(أسرار قادة التميز)، د. إبراهيم الفقي، ص: (١٨٥) بتصرف.

شروط النجاح ومتطلباته، فيقوم بدوره بتوجيه طاقاته الجسمية والنفسية لتحقيق هذه الأهداف، ولكي تنجح في ذلك إليك هذا التمرين الذهني الذي نطلب منك أن تفعله ولو مرة واحدة يوميًّا:

١- تخير مكانًا مريحًا يساعدك على الاسترخاء.

٢-تنفس بهدوء أربع مرات، ثم بالشهيق أربع مرات، ثم بالزفير أربع مرات.

٣- أغمض عينيك وتخيل نفسك تحقق أهدافك، اجعل الصورة واضحةً تمامًا أمام عينيك قدر استطاعتك، وتذكر أن الهدف الذي يتقبله عقلك الباطن ويقوم ببرمجته سوف يدفعك إلى تحقيقه.

٤- افتح عينيك الآن، وادع الله عز وجل وأنت موقن بالإجابة أن يحقق لك أهدافك.

(٢) التأكيد[١]**:**

أرسل تأكيدًا إيجابيًّا كل يوم إلى عقلك الباطن، واستغل قوة التأكيد هذه لتدفع بأهدافك إلى مستوى أعمق في عقلك الباطن.

مثال: كرر هذه الرسالة عدة مرات (أستطيع بفضل الله تحقيق جميع أهدافي)، ولكي يؤتي التأكيد ثماره في برمجة عقلك الباطن لابد أن تحقق في رسالتك الشروط الآتية:

---

(١) (أسرار قادة التميز)، ص: (١٨٦). (قوة التحكم في الذات)، ص (٣٠، ٣١) لمؤلفهما د. إبراهيم الفقي (بتصرف).

(١) أن تكون رسالتك واضحة ومحددة حتى يمكن أن تستقر بعمق في عقلك الباطن، وهذا الشرط من صفات الهدف الفعال كما مر علينا سابقًا.

(٢) يجب أن تكون رسالتك إيجابية، بمعنى أنها مثبتة وليست منفية، فتقول مثلًا: (أنا قادر على تحقيق أهدافي كلها بعون الله)، ولا تقل: (لا أريد أن أفشل في تحقيق أهدافي) لماذا؟

لو قلنا لك: لا تفكر في حصان أسود، هل يمكنك أن تفعل ذلك؟ بالطبع لا، لأنك أصلًا لن يمكنك إدراك معنى كلامي إلا إذا فكرت في حصان أسود.

وتحليل ذلك أن العقل الباطن يقوم بإلغاء كلمة (لا) ويحتفظ بعبارة (فكر في حصان أسود)، وبالتالي إذا قلت لنفسك: (لا أريد أن أفشل في تحقيق أهدافي) فإن العقل الباطن سيخزنها على أنك تريد الفشل.

(٣) أن تكون رسالتك تدل على الوقت الحاضر لا المستقبل؛ لأن المستقبل يفيد الشك في التحقيق، أما الحاضر فيفيد اليقين فلا تقل مثلًا: (سأكون قادرًا على تحقيق أهدافي بإذن الله)، بل قل: (أنا قادر على تحقيق أهدافي بإذن الله).

(٤) أن يصاحب رسالتك إحساس قوي بمضمونها؛ فتقولها في ثقة ويقين وحسن ظن بالله تعالى.

(٥) ولا تشك لحظة أنك لن تحقق أهدافك؛ وبذلك يتقبلها عقلك الباطن ويبرمجها.

(٦) التكرار: يجب أن تكرر رسالتك يوميًّا عدة مرات؛ حتى يتقبلها عقلك الباطن وتتم برمجتها تمامًا داخله.

(٧) (تصرف كما لو):

يقول د. إبراهيم الفقي: «تصرف كما لو كنت بالفعل تحقق هدفك، تحدَّث وتنفَّس وامشِ كما لو كان فشلك مستحيلًا، تصرف كما لو كان هدفك يتحقق الآن، وأنك تراه حقيقة، وأنها مسألة وقت قبل أن تحققه.

عندما كنت في السادسة من عمري رأيت حلمًا أنني أصبحت مديرًا عامًّا لأحد الفنادق الكبرى، واعتدت بعد ذلك أن ألعب دور مدير فندق مع أصدقائي، وكنت أتكلم وأمشي كما لو كنت فعلًا مديرًا عامًّا، وكانوا كثيرًا ما يضحكون عليَّ، لكنني في ١٩٨٧م استطعت أن أكون مديرًا عامًّا لأحد فنادق الخمسة نجوم في مونتريال بكندا، فإنني تصرفت كما لو كنت مديرًا عامًّا، وفعلًا أصبحت كذلك. استخدم قوة (كما لو) اليوم وسوف تنبهر بالنتائج»[١].



(١) (أسرار قادة التميز)، د. إبراهيم الفقي، ص: (١٨٦، ١٨٧).

ثالثًا: التخطيط

«من شروط تحقق الأهداف وضع خطة عملية للوصول إليها، فالهدف مهما كان عظيًا وممكنًا ومشروعًا ومحددًا ما لم يبين سبيل الوصول إليه يبقى أفكارًا وآمالًا فقط، أما تحققه في الواقع فلابد له من خطة توصل إليه، وهذا هو مفترق الطرق بين الجادين والهازلين في الحياة.

إن الهدف عند أهل الجد والعزائم بمجرد أن يتحدد يتبعه التفكير والإعداد لكيفية تحقيقه والوصول إليه، وما هو مدى البعد والقرب منه؟ وما هي العوائق الموجودة في الطريق أو التي يتوقع حصولها؟ وكيف يمكن تجاوز هذه العوائق والتغلب عليها؟

أما أهل التسويف والبطالة فما أكثر الأهداف الخيالية عندهم، التي لا يخطون خطوة واحدة في سبيل تحقيقها»[1].

وقد حدثناك أيها المؤمن في هذا الكتاب حديثًا إجماليًّا عن التخطيط، وسنفرد له كتابًا كاملًا مستقلًّا سيكون الثاني من هذه السلسلة المباركة إن شاء الله تعالى.



---

(١) (حتى لا تكون كلاًّ)، د. عوض القرني، ص: (٢٠).



- لكي تتحقق أهدافك لابد لك من اتخاذ وسائل أساسية منها:

(١) الوسائل الإيمانية:

١) الدعاء وصدق اللجوء إلى الله تعالى.

٢) قوة التوكل على الله تعالى.

٣) اجتناب المعاصي والمحرمات.

(٢) برمجة عقلك الباطن لتحقيق أهدافك عن طريق:

١) تخيل التفاصيل الدقيقة لهدفك بطريقة يومية.

٢) إرسال تأكيدات إيجابية إلى عقلك الباطن يوميًّا.

٣) تصرف كما لو كنت قد حققت أهدافك.





نهاية المرحلة الأولى

أيها المؤمن: لعلك الآن وقد صحبتنا إلى نهاية هذه الخطوة المباركة على طريق الفاعلية قد أدركت:

(١) أن دينك العظيم يوجب عليك أن تكون فعالًا ناجحًا في الحياة.

(٢) أن الخطوة الرئيسة على طريق الفاعلية هي أن يكون لديك «سيناريو» واضح لحياتك المستقبلية.

(٣) أن كتابة "سيناريو" حياتك يستلزم صياغة أجزاء ثلاثة هي:

أ) **رسالتك في الحياة:** وهي المهمة السامية التي ستنذر من أجلها حياتك، وقد عرفت أنك غير مخير في مضمون هذه الرسالة؛ لأن الله تعالى قد افترضها عليك كمؤمن، وجعل لك رسالة واضحة في الحياة، ألا وهي: إرضاء الله تعالى من خلال النجاح والتفوق في إحدى مجالات الحياة، وأنت مخير في اختيار هذا المجال وفق ميولك وإمكاناتك.

ب) الرؤية: وهي أقصى طموح واقعي يمكنك تحقيقه لتؤدي

رسالتك من خلاله، وينبغي أن تتوزع هذه الرؤية لتشمل جميع جوانب حياتك الإيمانية والأسرية والمهنية والصحية والمالية والاجتماعية والعلمية والترفيهية والتطوعية والتطويرية، ورؤيتك في كل هذه الجوانب لابد وأن تنبع من رسالتك، وتعمل على تحقيقها في الواقع في توازنْ وشمول.

جـ) **الأهداف**: وهي النتائج الواقعية المرحلية التي توصل إلى تحقيق الرؤية.

(٤) ولكي تستطيع تحويل هذا السيناريو السابق إلى واقع تحتاج إلى:

أ) استخدام الوسائل الإيمانية من دعاء وتوكل واجتناب للمحارم.

ب) برمجة عقلك الباطن لتحقيق أهدافك.

ج) التخطيط الدقيق للوصول إلى أهدافك.

د) الإيجابية الدافعة للتحرك نحو الهدف.

هـ) الجماعية المؤثرة التي تجعلك صالحًا للعمل ضمن فريق.

و) اكتساب القدرات والمهارات اللازمة لتحقيق الأهداف بكفاءة واقتدار.

والخطوات الأخيرة الأربع هي التي سنلتقي معها بإذن الله تعالى عبر الكتب المقبلة لهذه السلسلة



الهموم بقدر الهمم

يروي لنا التاريخ أن الصليبيين بعثوا بأحد جواسيسهم إلى أرض الأندلس المسلمة، وبينما الجاسوس يتجول في أراضي المسلمين إذا به يرى غلامًا يبكي وآخر بجواره يطيب من خاطره، فسأله الجاسوس: ما الذي يبكي صاحبك؟ فقال الشاب: يبكي لأنه كان يصيب عشرة أسهم من عشرة في الرمي، لكنه اليوم أصاب تسعة من عشرة. فأرسل الجاسوس إلى الصليبيين يخبرهم: (لن تستطيعوا هزيمة هؤلاء القوم فلا تغزوهم).

ومرت الأعوام وتغيرت الأحوال وتبدلت معها الهمم والهموم، فجاء الجاسوس الصليبي إلى أرض المسلمين مرة أخرى، فرأى شابين أحدهما يبكي والآخر يطيب خاطره، فسأله الجاسوس: ما الذي يبكي صاحبك؟ فأجابه: إنه يبكي لأن فتاته التي يحبها قد هجرته إلى غيره. فأرسل الجاسوس إلى قومه: (أن اغزوهم الآن فإنهم مهزومون).

نعم أيها المؤمن: شتان بين بكاء وبكاء، وبين همة وهمة.

كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤] .

أي أن كل إنسان يعمل بما يناسب همته وعزيمته، فمن الناس من تحوم همته حول الثرى، ومنهم من ترنو همته نحو الثريا.

وإنما سطرنا هذا الكتاب لك ولأمثالك أيها المؤمن، ممن علت هممهم وارتقت عزائمهم، حتى ما عادت تطمح إلا إلى معالي الأمور، فإن أولئك هم الذين تنعقد عليهم الآمال في أن تقوم هذه الأمة على أكتافهم من جديد.

إنهم الذين رفعوا قيمة حياتهم فأصبحت تساوي أكثر بكثير من ثمن بقائها، بعد أن غدت مفعمة بالإيمان والفاعلية.

وكيف لا وقد أدرك كل منهم رسالته، وحدد رؤيته، وانتصبت أهدافه أمام ناظريه، فمضى يسلك إليها دروب الفاعلية، عبر تخطيط متقن، وإيجابية فاعلة، وجماعية مؤثرة، وتطوير للقدرات مستمر، ودليله في ذلك سلسلتنا المباركة، تترجم له عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وما استجد من قطوف الحكمة التي هي ضالة المؤمن.

ويظل معنا ونظل معه في ازدياد إيمان وفاعلية؛ فنذوق معًا طعم السعادة والنجاح في الدنيا، كما نرجو أن نذوق طعمها في

الآخرة، إخوانًا على سرر متقابلين، في جنة يقول باريها في ساكنيها:

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

[الزخرف: ٧٢]

وقبل أن نلقاك على خير إن شاء الله في الكتاب القادم نوصيك بوصيتنا الذهبية:

نوصيك

بتقوى الله

وبصناعة النهضة

* * *

الفهرس

